

الشيخ عبد الحميد كشك



القلوب

العلاج اللائق لأمم مشكلة العصر



مكتبة التراث الإسلامي

٣٩١١٣٨٧

اهداءات ٢٠٠٢

١/ حسين كامل السيد بك فهمي

الاسكندرية

القلوب العلاج اللازم لأمي لمشكلة الغص

الشيخ عبد الحميد كشك

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

جميع الحقوق محفوظة للناشر



مكتبة التراي الإسلامي

فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

ت : ٣٩١١٣٩٧

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفر ونعوذ بالله من شرور أنفسنا سيئات أعمالنا من يهده الله فلا فضل له ومن يضلل فلا هادي له .
وبعد

فإن هذا الكتاب فريد في تأليفه لم يسبق إليه أحد ولا إلى موضوع القلق بالذات حيث عالج الكتاب موضوع القلق علاجاً شافياً تطمئن إليه النفس ، ويأمن الإنسان في حياته وبعد مماته . ولم لا ؟ والأمن هو النعمة العظمى بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى . ولقد امتن الله على المؤمنين بنعمة الأمن لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . ولقد وصف الله سبحانه وتعالى دار السلام بأنها مقام أمين ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ .

ووصف من فيها بأنهم آمنون ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاةٍ آمِنِينَ ﴾ ولقد امتن الله سبحانه وتعالى على قريش بنعمة الأمن ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ . وقال ﴿ أَوْ لَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴾ ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ . ونعمة الأمن لا تعدلها نعمة فهي الاستقرار في الدنيا والمقام الأمين في الآخرة لذلك جعل الله الأمن غاية المنى لمن استمسك بالعروة الوثقى وجاهد في سبيل الله .

وللناس في تفسير الأمن أقوال ومفاهيم فالبعض يرى أن الأمن عدم الخوف على النفس والولد أو عدم التهديد في الرزق والمستقبل أو جمع المال أو عدم تضييع الحقوق الخ . آراء كثيرة لكن الإسلام جعل الأمن الحقيقي في تطبيق منهج الله الذي نزل على قلب سيد الأنبياء وإمام المرسلين حيث قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ شَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُم مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإسلام المرء وجهه الله معناه أنه دخل في الأمن النابع من رحمة الله لأنه يكون حينئذ في رحاب الله ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾

إن من أسلم وجهه لله فقد رضى بقضاء الله وقدره وهذا معناه الأمن من الهم والحزن والخوف من الجهول ... إن من اتبع منهج الله أمن على الرزق ولم يخش الفقر ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

وستجد أيها القارئ الكريم ما يجعلك آمنا في دنياك وفي آخرتك حيث تناول المؤلف المنهج المتكامل الذي يحقق الأمان المطلق الذي تنشده كل نفس بشرية .

ولقد شمل هذا المنهج خمسة دعائم أساسية تلك الدعائم :

- ١ — الأمن للعقيدة . ٢ — تحقيق الأمن للنفس . ٣ — تحقيق الأمن للعقل .
- ٤ — تحقيق الأمن للعرض . ٥ — تحقيق الأمن للمال .

ولقد أوضح المؤلف كل نقطة مما سبق شارحا ومفصلا ومستدلا من القرآن والسنة والأقوال المأثورة والشعر ومن الحياة العامة التي فسدت لعدم الإيمان بالله ورسوله واتباع منهجه في فسادها وأصبحت الحياة لا سبيل لإنقاذها إلا بالرجوع للمنهج القويم .

هذا هو البحث الأول .

أما البحث الثاني : فلقد سرد المؤلف تسعة دروس عن الإنسان بين النفس والمال . فلقد شرح قصة بلعام بن باعوار عالم بني إسرائيل . وعن ثعلبة ابن حاطب الذي عاهد الله ثم نقص العهد وعن نفوس جرفها المال فانحرفت ﴿واضرب لهم مثلا رجلين ...﴾ سورة الكهف

ثم قصة قارون ونهائيه والوليد بن المغيرة وفضيحة القرآن له وتوعد الله له في الآخرة . ثم عالج مشكلة القضاء والقدر بشكل سهل ممتنع يقبله العقل وتؤمن به النفس ... الخ واختاما فهذا تقديم موجز لكتاب فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك أوجزنا فيه بالإشارة إلى رموس المواضيع .

نسأل الله العليّ القدير أن ينفع به قارئه وكاتبه أنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم المحيى

عمار محمد عمار

المستشار الدينى لدار التراث الإسلامى

شعبان ١٤١١ هـ

مارس ١٩٩١ م

المبحث الأول :

الإسلام فيه الأمن والأمان

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم صلاة وتسليماً يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبي الأمين وعلى آله وصحابه الغر الميامين وارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين أما بعد ...

فإن الأمن هو النعمة العظمى بعد الإيمان بالله لذا فإن الله تعالى سمى نفسه المؤمن أى الذى يؤمن عباده ويكفى الأمن شرفاً وقدرأ أنه من أسماء الله تعالى الحسنى ولقد قدمه الله تعالى على نعمة الرزق فقال : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ﴾ . وجعل الله الأمن كلمة جامعة وافية كافية شافية جزاء للمؤمنين فبعدما سأل القرآن هذا السؤال : ﴿ فأى الفريقين أحق بالأمن ﴾ أجاب فى صراحة ووضوح وشموخ ورسوخ وبروخ قائلاً : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك هم الأمن وهم مهتدون ﴾ وقد وصف الله تعالى دار الخلد بأنها مقام أمين فقال عز من قائل : ﴿ إن المتقين فى مقام أمين ﴾ ﴿ فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين ﴾ .

ووصف أهل الخلد بأنهم آمنون فقال : ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ﴾ ولقد امتن الله تعالى على قريش بالأمن من الخوف فقال : ﴿ الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ وقال : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ﴾ وقال : ﴿ أو لم نمكن لهم حرماً آمناً ﴾ . والحقيقة أنه لا حياة مع الخوف إذ تتحول الدنيا بلا أمن إلى أرض مسبعة يفترس القوى فيها الضعيف وتصبح الحياة ظلمات بعضها فوق بعض كأنها بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب . والحياة مع الأمن تصير جنات ظلالتها وارفة يتبوأ الإنسان فيها حياة طيبة مباركة ويعيش عيشة راضية يثمر وينتج يصون ولا يبدد ويحمى ولا يهدد يتفياً ظلال الحرية ويأخذ مكانه تحت الشمس لذلك فإن الإسلام هو دين الأمن والأمان والعزة والكرامة والآناء والمساواة والحرية والرفعة فلنعمل جميعاً على تحقيق هذه النعمة العظيمة نعمه الأمن ولمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وعلى الله فليتوكل المؤمنون وطوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء والله المستعان وعليه التكلان .



الأمن في ظل الإسلام

أهمية الأمن :

حقاً إن الأمن كلمة خفيفة على اللسان عميقة الوجدان مطمئنة للجنان إنه فعلاً نعمة عظيمة وغاية يسعى إليها كل إنسان بل هو مطلب أساسي لا تستقيم الحياة بدونه وضعه الحق سبحانه وتعالى جنباً لجنب مع المطلب الأول الذي يسبقه إليه كل كائن حي وهو الطعام بل أنه سبحانه جل شأنه قدم نعمة الأمن على نعمة الرزق فقال :

﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ﴾ .

ولم يمن الحكيم الخبير على قريش بنعمة كما من عليها بأنه أطعمها من جوع وآمنها من خوف فقال جل شأنه : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش ٤] .

﴿ أو لم تمكن لهم حرماً آمناً يجيى إليه ثمرات كل شيء ﴾ [القصص ٥٧] ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ﴾ [البقرة ١٢٥] .

بل إن العلي القدير جعل الأمن هو غاية المنى والجزاء الأوفى لمن جاهدوا في الله حق جهاده واستمسكوا بالعروة الوثقى واتبعوا طريق من سبقونا بالإيمان لم يبالوا بما فيه من صعوبات ومشقات فقال : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام ٨٢] .

لماذا ؟ لأنهم خافوا مقام ربهم فجعل الأمن عاقبة أمرهم لأنه قال وقوله الحق في حديثه القدسي : ﴿ لا أجمع لعبدي أمين ولا خوفين أبداً . إن هو أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن هو خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة ﴾ .

فما هو الأمن الذي نال هذه المكانة العظيمة وجعله الله أسمى الغايات للمؤمنين يتجاوب معه كيانهم وتنشوق إليه أرواحهم وتتطلع إليه أفئدتهم ؟ هل هو الطمأنينة ؟ هل هو السعادة ؟ أم الاستقرار العائلي والوظيفي أم ضمان الرزق والعيش في رغد من الحياة ؟ أم أمن الدولة بالمحافظة على حدودها الخارجية وعدم القلقة والاضطرابات داخلياً ؟ أم هو أمن النفس البشرية وحمايتها من تيارات العواصف التي تطيح بها وتجعلها تن تحت الضغوط الدنيوية وتسبب لها القلق والضيق .

أسئلة كثيرة تدور في أعماق كل إنسان تجعله يتحير في اختيار إجابة محددة واضحة المعالم عن الأمن ليس هذا فقط بل إنها تصبغ حياة الناس بصبغة معينة تجعل كلاً منهم يتحرك في كل اتجاه ويجري وراء كل ما يتصور أنه يحقق له الأمن . ومن مجموع هذا الإنسان تتكون المجتمعات والشعوب فالدول . وتتحدد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وبالتالي فلنا أن نتصور خطورة الموقف في تحديد مفهوم الأمن لأنه بناء على هذا المفهوم ستدور عجلة الحياة إن خيراً أو شراً وسوف تتشكل العلاقات الداخلية والخارجية لكل دولة على حدة ثم تتشكل العلاقات الدولية بين الأمم والشعوب .

ولذلك سنحاول بإذن الله أن نوضح ما وسعنا الجهد مفهوم الأمن ثم نوضح النهج الإسلامي في الأخذ بالنفس الإنسانية نحو أمن الدنيا وأمن الآخرة حتى إذا جاء أجلها سعت إلى ربها فرحة مستبشرة بقوله الحق :

﴿ يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتى ﴾ .

مفهوم الأمن عند الناس :

نظراً لأن الأمن هو إحساس داخلي في النفس البشرية يدعمه الواقع العملي فإنه من الصعب بمكان ما على الإنسان أن يحدد مفهوماً واضح المعالم للأمن لأن هذا المفهوم يختلف من إنسان لآخر حسب قدراته النفسية والعقلية وظروفه الاجتماعية والاقتصادية . كما أن هذا المفهوم أيضاً يتغير من دولة لأخرى حسب وضعها الجغرافي وظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

فإذا سألنا كل واحد منا هذا السؤال : كيف يتحقق لك الأمن ؟

نجد أن الإجابات قد تنوعت تنوعاً لا حد له : فالبعض يرى أن الأمن من وجهة نظره هو ألا يخاف على نفسه وولده من التعرض للسرقة أو الخطف أو القتل سواء في منزله أو الطرق التي يسير فيها أو وسائل النقل العامة أو المتنزهات أو في أى مكان حل فيه أو ارتحل عنه بمفرده أو مع أهله وأحبابه وأصدقائه .

وبالعكس الآخر يرى أن الأمن ألا يتعرض لإهمال جسيم يودى بحياته هباء إذا مرض أو أصيب في حادث هو أو أى فرد من أفراد أسرته فيجد الدواء متوفراً في متناول يده ويجد المستشفى الذى ينتقل إليه بسهولة ويسر ويجد القلب الرحيم والرعاية اللازمة التي تنقذ حياته أو حياة أحبائه فيشعر أنه إنسان ينتمى لوطن غال يقدر قطرات العرق والجهد الذى يبذله في إدارة عجلة الحياة والإنتاج .

وهناك بعض ثالث يرى أن الأمن هو ألا يشعر أنه مهدد في رزقه ومستقبله وأن هناك من القوانين الاجتماعية ما يحميه في حالة الشيخوخة والمرضى أو في حالة أن يطرده صاحب العمل في أى وقت يشاء بدون أى ذنب يجنيه سوى أن يقول الحق ولا شيء غير الحق .

وهناك من يرى أن الأمن في جمع المال فيجرب وراء جمعه بشتى الطرق لا يهمه في ذلك من أى الطرق جمعها في مرضاة الله أم في مرضاة نفسه وشهواته وأطماعه .

وهناك النساء وهن نسبة كبيرة في المجتمع لها وزنها وثقلها الذى لا ينكره أحد فهن المدرسة التى تخرج الأجيال التى تحمل على سواعدها بناء المجتمع وفي رعايتهن الرعاية الطبية إعداد شعب طيب الأعراق . هؤلاء النساء يرون أن الأمن هو ألا تعيش الواحدة منهن مهددة في مستقبلها يعتصرها الخوف من أن تجرد نفسها فجأة مطلقة ومحرومة من أعز ما لديها وهو فلذات أكبادها أو تجرد نفسها شريفة وحيدة لا تجد القوت الذى يكفيها وبالتالي عليها أن تحوض غمار الحياة تصارع أمواجها لتحافظ على كيانها كإنسانة وعلى عقيدتها ومبادئها التى تمنعها من الانحراف .

وهناك ذوو الحساسية المرفهة والأخلاق النبيلة يرون أن الأمن هو ألا يرى الناس حوله تتعارك لأتفه الأسباب وألا يدب الشجار الذى يتقاذف فيه الناس الشتائم على مسمع ومرأى من أطفالنا بما يتنافى مع أبسط قواعد الدين والأخلاق .

وهناك من يرى الأمن في ألا تضيع حقوق بين المحاكم إذا اقتضاه الأمر للتقاضى ويجد القاضى العادل المنصف الذى يحكم بالحق فلا تميل بيديه إحدى كفتى الميزان فيشيع الظلم وهو المعول الأساسى في إنهيار المجتمعات . وهناك من يرى الأمن في العدالة الاجتماعية حيث لا محسوبية ولا رشوة

آياتنا ففسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أمرف ولم يؤمن
بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴿ [طه ١٢٣ — ١٢٧] .

مفهوم الأمن الإسلامى :

إن مفهوم الأمن الإسلامى عميق كل العمق شامل كل الشمول يتناول
الإنسان نفساً وروحاً وجسداً يتناول واقعه العمل وهو الدنيا التى يعيش فيها
ومعاده الأزل وهى آخرته التى سيرجع إليها .

إنه باختصار شديد جداً ينبع من نفس تلك الحروف التى تتكون منها
كلمة الأمن فكل حرف فى القرآن له معنى وله غرض يسعى إلى تحقيقه فى
الوجود . ولذلك فأن الله سبحانه جل شأنه تحدى الإنس والجن فى أن يأتوا
ولو بسورة واحدة منه وكيف يتأتى لهم ذلك والحرف الواحد إن تغير
موضعه أخل بمعناه فى اللوح المحفوظ وتغير عمله فى الكون وانتفى الغرض
الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ليكون رحمة للعالمين .
وها هو الشيخ العارف بالله سيدى عبد العزيز الدباغ يحدثنا بما فتح الله عليه
من معانى تلك الحروف فى القرآن العظيم فيقول رضى الله عنه :

للهمزة الإمتثال وللباء السكينة وللطاء كمال الخواص الظاهرة وللثاء
الإنصاف وللجيم الصبر وللحاء الرحمة الكاملة وللخاء ذوق الأنوار
وللذال الطهارة وللذال معرفة اللغات وللراء حسن التجاوز وللزاي الصدق
مع كل أحد وللطاء التمييز وللطاء نزع خط الشيطان وللکاف معرفة الله
تعالى وللام العلم الكامل وللميم الذكر ولنون الفرح الكامل وللصاد العقل
الكامل وللصاد قول الحق وللعين العفو وللغين كمال الصورة وللفاء الحمل
للعلم وللغاف البصيرة وللسين خفض جناح الذل وللشين القوة الكاملة فى

الإنكماش وللهاء النفرة عن الضد وللواو يموت وهو حي ولللام ألف عدم الغفلة وللياء التى هى آخر الحروف الخوف التام من الله عز وجل .

ومكذا فإن حروف كلمة الأمن بمعناها الحقيقى فى القرآن تعطينا المفهوم الحقيقى للأمن كما جاء به الإسلام غاية وبشرى للمؤمنين :

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام ٨٢] .

ومما سبق يتبين لنا أن معنى تلك الحروف التى تتكون منها كلمة الأمن (أ . م . ن .) هو : الهمة للامتنال . والميم للذكر والنون للفرح الكامل أى أن الأمن هو فى الامتنال لأمر الله وهو فى ذكر الله وهو فى الفرح الكامل غير المنقوص وستتناول بالتفصيل إن شاء الله معنى كل حرف على حدة وكيف يتحقق فيه الأمن :

أولاً : الحرف الأول من كلمة الأمن وهو الهمة للامتنال أى أن الأمن هو فى الامتنال لأمر الله لأن تسليم الوجه لله يحمى المسلم من كل عواصف القلق التى تتنازعها والصراعات التى يتعرض لها لأن فطرة الله التى فطر الناس عليها تؤمن بأن الخالق واحد وأى تغيير لتلك الفطرة يؤدى إلى ضياع النفس البشرية وتشتتها بحثاً عن بيده أمرها :

﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سليماً لرجل هل يستويان مثلاً ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [الزمر ٢٩] .

إن الامتنال لأمر الله وتطبيق منهجه معناه الاستمسك بالعروة الوثقى ، معناه التقدم والرق ، معناه التطلع إلى كل ما هو سام وكل ما يحقق للنفس طموحها وآمالها وبالتالى أمنها وأى تطبيق لغير قانون الله فى الحياة يؤدى إلى اختلال الواقع العملى وظهور جميع عوامل التأخر الاجتماعى والاقتصادى

ولا نفاق ولا تفاوت رهيب في توزيع الدخول يؤدي إلى سيطرة طبقة على أخرى بحيث يصبح حينذاك فئة طاغية من كثرة المال الذي يزيد عن الحد وفئة مطحونة من شدة الفقر وهي تمثل الغالبية العظمى من الشعب .

وبالتالي تفقد الحافز على الإنتاج لأنها مهما تعبت فإن الهوة ستظل كبيرة حيث الفقر حركة تراكمية لأسفل والغني حركة تراكمية لأعلى . وهذا يؤدي إلى تدهور البنيان الاجتماعي في الدولة فيفقد الجميع الإحساس بأي نوع من أنواع الأمن .

كثيرون وكثيرون في المجتمع كل منهم تدور في أعماقه مفاهيم معينة عن الأمن . ولو أن الغالبية العظمى منهم تتصور أن هذا الأمن لابد وأن يتحقق مع التقدم والرفاهية وتطبيق الديمقراطية الغربية .

فإذا كان الأمر كذلك كما يتصورون فلم تعاني معظم الشعوب الأوروبية وشعوب الولايات المتحدة الأمريكية الإحساس بفقدان الأمن ؟ رغم أن تقدمها يمثل حلمًا لكل الدول المتخلفة وتمثل ديمقراطيتها قمة مشاركة الشعوب في صنع قراراتها المصيرية بنفسها وأعلى درجة من الرقابة الشعبية على الحكام مما تتباهى به تلك الدول نفسها على شعوب الكرة الأرضية بأسرها !!

ومع ذلك نجد أن العذاب النفسي والشقاء الروحي والشذوذ الجنسي والانحلال الخلقي الذي تقاسى منه هذه الأمم اليوم ليكاد يغطي على الإنتاج والرخاء والمتاع . وليكاد يصيب الحياة كلها بالنكد والقلق والشقاء وفقدان الأمن بكل معانيه .

وإذا كان الله قد رفع عذاب الاستئصال بعد بعثة رسول الله ﷺ فهناك ألوان من العذاب باقية والبشرية تذوق منها الكثير إذا بعدت عن منهج الله لأن سنة الله في الكون هي مصداق قوله تعالى :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام ٤٤]

إذن فالأمن الحقيقي هو في منهج الله العظيم الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد الخلق وإمام المرسلين ليكون رحمة للعالمين وهذا ما خاطبه به أصدق القائلين حيث قال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء ١٠٧]

﴿ فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ [الأنعام ٥٤]
﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل ٨٩] . ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ﴾ [الأنعام ١٥٧] . ﴿ وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [يونس ٥٧] .

﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [آل عمران ١٥٩] . ذلك الرسول الذى اجتمعت حوله القلوب فأشاع فيها الأمن حتى وصف بأنه نبي الرحمة وقال في مدحه الشعراء :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما السرحاء
ولنا أن نتخيل مجتمعاً دستورهِ الرحمة وملجأهُ الرحمن الرحيم أى أمن وأى طمأنينة تشيع فيه . حقاً إن الإسلام وضع مفهوماً للأمن تتطبع إليه القلوب وتشرئب إليه الأرواح لأنه من عند حكيم خبير ، حددته في آيات قرآنية تشع نوراً وبهاء فقال جل شأنه : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك

والسياسي : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [البقرة ٢٥٦] .

﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ [لقمان ٢٢] .

إن إسلام الوجه لله معناه الأمن وقت الشدة ومعناه النجاة من كل كرب يعترض الإنسان في دنياه أو أخره حين يعز الحبيب والطبيب :

﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ [الإسراء ٦٧] .

﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ [الأنعام ١٧] .

إن إسلام الوجه لله معناه الأمن التابع من رحمة الله لأنه يعيش في كنف الله : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴾ [فاطر ٢] .

إنه ذلك الدرس العظيم الذي تعلمنا إياه معلم البشرية الأعظم في كلمات تشع نوراً وضياء تملأ الكون سناء وبهاء . قال ﷺ : « إذا استعنت فاستعن بالله وإذا سألت فاسأل الله واعلم أنه لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك » .

إن الإمتثال لأمر الله معناه الرضا بالقضاء والقدر معناه الأمن من الهم والحز معناه الأمن من الخوف من المجهول لأن المؤمن يردد دائماً في يقين وإيمان : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ [التوبة ٧١] .

ويرددون أيضاً :

ويا فؤادى تلك دنيا الخيال فلا تنؤ تحت الهموم الثقال
سلم له الأمر فمحو الذى خطت يد الأقدار أمر محال
وبذلك ينالون وعد الله الحق : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان
وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة ٢٢] .

إن الامتثال لأمر الله معناه الأمن من الخوف في الجهاد سواء كان الجهاد
الأصغر وهو جهاد النفس لأن المؤمنين يسيرون دائماً بخطوات ثابتة وعزم
صادق وإرادة لا تلين لأنهم يستشعرون في وجدانهم دائماً قول الله سبحانه
وتعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز ﴾ [المجادلة ٢١]
ولذلك فقد تحرر هؤلاء المؤمنون من كل أنواع الخوف إلا الخوف من
الله : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم
يغسستهم سوء ﴾ [آل عمران ١٧٣] .

بل إن هؤلاء المؤمنين لم يتحرروا فقط من الخوف إنهم رفعوا رأسهم
عالياً معتزين بانتماثلهم إلى دين شعاره العزة والسمو :
﴿ والله العزة والرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾
[المنافقون ٨] .

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلوهن إن كنتم مؤمنين ﴾
[آل عمران ١٣٩] .

إن إسلام الوجه لله معناه الأمن على الرزق والتحرر من خوف الفقر لأن
الله سبحانه وتعالى بيده مفاتيح السموات والأرض : ﴿ وفي السماء رزقكم
وما توعدون ﴾ [الذاريات ٢٢] . ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [الأعراف ٩٦] .

حقاً أخى المسلم إن الأمن والأمان فى إسلام الوجه لله والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه واتباع منهجه فذلك هو الطريق الوحيد أمام النفس البشرية لتشعر بالطمأنينة التى تنشدها وهذا الإمتثال ليس منة ولا تفضلاً من الإنسان المسلم بل هو أمر إلهى لمن اتبع رضوان الله ورضى بالإسلام ديناً :

﴿ قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾
[الأنعام ٧١] .

كن عن همومك معرضاً	وكل الأمور إلى القضا
وانعم بطول سلامة	تسليك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيق	وربما ضاق الفضـا
ولرب أمر سخط	لك فى عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء	فلا تكن متعـرضاً

وقبل أن نختم حديثنا فى هذا المجال لا يفوتنا أن نعرض ذلك الحديث القدسى الجليل الذى يبين عظمة الامتثال لأمر الله فى تحقيق الأمن للنفس البشرية .

يقول رب العزة جل شأنه : ﴿ عبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لى فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لى فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد ﴾ .

وفى حديث قدسى آخر يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك وملك الملوك . قلوب الملوك فى يدى ﴾ .

إلهى إذا كانت القلوب بيدك فأنى لنا الأمن يا مقلب القلوب إلا بإسلام الوجه لك كما أمرتنا على لسان رسولك الكريم صلوات ربي وسلامه عليه : ﴿ وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتكم العذاب ﴾ [الزمر ٥٤]

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران ٢٠] .

وهكذا فإن الإمتثال يوفر على الإنسان المسلم عوامل القلق النفسى. من الإحساس بالضيق والجزع والهلع في الشدائد والمصائب ويحقق للنفس المؤمنة أجمل أحاسيس الأمن المشرقة المضيئة لأن تلك النفس تترنم بذلك الإمتثال مرددة :

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى ولا الشئون التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل لى أحاط به علمه من قبل تصويرى

وتردد أيضاً بيقين الإيمان الذى يثلج الصدر :
تذكر جميل مذ خلقتك نطفة ولا تنس تصويرى ولطفى فى الحشا
وسلم إلى الأمر واعلم بأنسى أدبر أحكامى وأفعل ما أشأ

ثانياً : الحرف الثانى من كلمة الأمن وهو الميم للذكر :

إذا تكلمنا عن فائدة الذكر فى تحقيق الأمن للنفس البشرية فلن يكفينا
مئات الصفحات فالله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ﴾ [الرعد ٢٨] .

أى أن الأمر متعلق بثلاثة أمور يعجز القلب أن يوفىها حقها لأن كل منها
درجات تشرئب إليه الأعناق وفيها يتنافس المتنافسون . تلك الأمور الثلاثة
هى :

الإيمان بالله أولاً .

ذكر الله ثانياً .

اطمئنان القلوب ثالثاً .

ويهمنا هنا ذكر الله لأنه الوسط بين تلك الأمور فهو يتوقف على درجة الإيمان بالله وعليه يتوقف اطمئنان القلوب وتحقيق الأمن في المجتمع المسلم وإلا لما أعطاه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تلك المكانة الرفيعة الفريدة حيث قال :

« ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قلنا بلى . قال ذكر الله » .
لماذا نال ذكر الله تلك المكانة الرفيعة ؟

لأن ذكر الله معناه الإتصال بين العبد وربّه فإذا تحقق ذلك الإتصال فهذا معناه تزكية النفس وتطهير القلب وإيقاظ الضمير قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

أى أن ذكر الله في النسي عن الفحشاء والمنكر أكبر من دور الصلاة في ذلك الذكر أعم من الصلاة لأنه مطلوب في كل وقت كما قال الحق جل وعلا : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران ١٩١] .

وذكر الله معناه استحضار عظمة الله في قلب العبد يتعاون في ذلك حواس الإنسان وإحساساته : فذكر العينين البكاء وذكر اليدين العطاء وذكر الأذنين الإصغاء وذكر اللسان الثناء وذكر البدن الوفاء وذكر الروح الخوف والرجاء وذكر القلب التسليم والرضاء . والذاكر حين يفتح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه ، يمدّه الله بنور من عنده فيزداد إيماناً إلى إيمانه

ويقيناً إلى يقينه فيسكن قلبه للحق ويطمئن به . وإذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى وأخذ سبيله إليه دون أن تلفته عنه نوازع الهوى ولا دوافع الشهوة ومن ثم عظم أمر الذكر وجل خطره في حياة الإنسان المسلم وبالتالي في حياة المجتمع المسلم .

فذكر الله معناه كيف يكون المسلم إنساناً حقاً في البيع والشراء ، في العلم والعمل ، في تأدية الواجبات وأخذ الحقوق في الصلاة والصوم والحج وأداء الزكاة ، في الزواج والطلاق في الجهاد والسفر ، في الغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية ..

إنه باختصار حياة الإنسان الحية اللاتقة به كخليفة الله في الأرض وصدق الرسول الكريم ﷺ حين قال : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحمى والميت » . رواه البخاري .

وهذا القول للصادق المعصوم نابع من قول الحق جل وعلا : ﴿ ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ﴾ [الفرقان ١٨] .

كيف يحقق ذكر الله الأمن ؟

بعدما عرفنا المفهوم الحقيقي للذكر فإننا يمكن أن نعرف بوضوح كيف يحقق ذكر الله الأمن يقول الحق تبارك وتعالى في أحاديث قدسية جلييلة تبين أهمية اتصال العبد بربه ليحقق لنفسه الأمن الذي ينشده : ﴿ إني لأهم بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار المساجد والمستغفرين بالأسحار صرفت العذاب عنهم ﴾ . ﴿ أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك ومالك الملوك ، قلوب الملوك في يدي وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرفقة والرحمة وإن العباد إذا عصوني حولت قلوب

ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا
أنفسكم بالدعاء على ملوككم ولكن اشغلوا أنفسكم بذكرى والتقرب
إلى أكفكم ملوككم» .

« ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت
صدرك شغلاً ولا أسد فقرك » .

« يا ابن آدم خلقت السموات والأرض لم أعنى بخلقهن أفيعيني رغي
أسوقه إليك كل حين ، يا ابن آدم لي عليك فريضة ولك عليّ رزق فإن
خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقي . وعزتي وجلالي إن لم ترض بما
قسمت لك لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرية لا
ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي » .

« ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا
من كثير تشبع . إذا كنت معاف في بدنك آمناً في سربك عندك قوت
يومك فقد حيزت لك الدنيا بخذايرها » .

وتدعيماً لهذا المنهج في أهمية اتصال العبد بربه لتحقيق الأمن قال
المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه : « من أعطى فشكر ومنع فصبر
وظلم فغفر وظلم فاستغفر فأولئك هم الأمن وهم مهتدون » .

« من أصبح حزيناً على الدنيا فقد أصبح سائحاً على ربه ومن شكى
مصيبة نزلت به فكأنما يشكو الله عز وجل ومن قعد إلى غنى لينال من ماله
فقد ذهب ثلثا دينه » .

من أصبح وهمه الدنيا فرّق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولا ينال
من الدنيا إلا ما كتب الله له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله شمله وجعل
غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » .

صدقته يا سيدى يا رسول الله يا من بلغت عن رب العزة الحكيم
الخير . نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت
الغمة وأخرجنا الله برسالتك من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن الظلمات
إلى النور ومن القلق إلى الطمأنينة :

فذكر الله هو الفلاح والنجاح والرق الذى تنشده الشعوب والأمم :
﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصل ﴾ [الأعلى ١٥] .

﴿ وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾
[الجمعة ١٠]

وذكر الله هو الأمن من سيطرة الشهوات على النفس البشرية :
﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ﴾ [آل
عمران ١٣٥] .

إنه الحماية من إغواءات الدنيا والشیطان ونوازع النفس والهوى .

إني بليت بأربع يرميتى بالنبل عن قوس لها توتر
إبليس والدنيا ونفسي والهوى يارب أنت على الخلاص قدير

وذكر الله هو الأمن من نزول الشياطين علينا وهو العلاج فى حال
نزولها : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أئيم ﴾
[الشعراء ٢٢١ — ٢٢٢] ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيراً ﴾ [الشعراء ٢٢٧] ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقىض له
شیطاناً فهو له قرين ﴾ [الزخرف ٣٦] ﴿ استحوذ عليهم الشيطان
فأنساهم ذكر الله ﴾ [المجادلة ١٩] .

وذكر الله معناه المعية مع الله وفى هذا الأمن كله والعز كله :

﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ [البقرة ١٥٢]

وقد فسر الحق هذه المعية في حديث قدسي مهيب لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد : فقال جل ذكره :

﴿أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني . فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ عنده ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾ .

وذكر الله معناه شكر الله على نعمائه وهذا الشكر يحقق الأمن للنفس التي ترجع إلى بارئها في كل أمورها معترفة بنعمته مقرة بفضله :

﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ [مریم ٦٧]

﴿أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ﴾ [المائدة ١١٠]

﴿لستبوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾ [الزخرف ١٣]

﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ [الحج ٢٨] .

وذكر الله معناه الأمن والعلاج من النسيان والأمراض الأخرى :

﴿واذكر ربك إذا نسيت ﴾ [الكهف ٢٤]

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾ [ص ٤١]

﴿رب مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾

وذكر الله معناه الأمن من انحراف العقيدة أو زيغها :

﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ [البقرة ، ٦٣ ، الأعراف ١٧١]

﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ [المزمل : ٨] .

﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ﴾ [الأعراف ٢٠٥] .

﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ﴾ [الإنسان ٢٥]

﴿ واذكروا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب ٣٤]

﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ﴾ [النور ٣٧]

وذكر الله معناه الأمن وقت الشدائد والمواقف الحرجة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾ [الأنفال ٤٥]

﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ [الأنفال ٢٦]

وذكر الله معناه الأمن في المأكل والمشرب :

﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾ [الأنعام ١١٨]

﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ [الأنعام ١١٩]

﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله ﴾ [الأنفال ٦٩]

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه ﴾ [طه ٨١]

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون ٥١]
﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةَ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ غَفُورٍ ﴾
[سبأ ١٥]

وذكر الله معناه الأمن من عقاب الله وغضبه مثلما حل على الأمم السابقة وإذا كان عقاب الاستئصال قد رفع بيعته سيدنا محمد فهناك من ألوان العذاب النفسى ما هو أشد هلاكاً وإيلاماً حيث يمنع الإنسان من الإحساس بأى نعيم مهما أحاطت به ألوان المتعة المادية : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف ٤ ، ٥]

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْحَنَّا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف ١٦٥]

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام ٤٤]

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ [السجدة ٢٢]
وذكر الله معناه الأمن من غاشية الجهالة والضلالة وظلمات المادية العمياء :

﴿ أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾
[إبراهيم ٥]

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾
[البقرة ٢٣١]

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس ٥٧]

﴿ فَإِذَا يَأْتِيَنكُم مِّنْهُ هَدًى فَمَن أَتَّبَعَ هَدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾
[طه ١٢٣]

﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدَ ﴾ [ق ٤٥]
﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾
[الفرقان ٧٣]
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَوْنٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾
[الأنعام ١٠٤]

وذكر الله معناه الأمن من حسد الحاسدين وطمع الطامعين :
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مَن شَرَّ مَا خَلَقَ وَمَن شَرَّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمَن شَرَّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمَن شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق ١ — ٥]
﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة ١٠٩]
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء ٥٤]
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾
[يونس ٥٧]

وذكر الله معناه الأمن من ارتكاب ما يُغضب الله والابتعاد عن رضوان الله ورحمته :

﴿ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
[النحل ٩٠]

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد ١٩]

﴿إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾
[الأعراف ٢١٠]

﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾
[الزمر ٢٢]

﴿وذكر الله معناه الأمن من سوء العاقبة حين لا ينفع الندم :
﴿والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ [الأحزاب ٣٥]
﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً﴾ [الجن ١٧]
﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾
[الفجر ٢٣]

وذكر الله معناه الأمن من التشاحن والبغضاء بين المنحرفين عن منهج
الله ، وذلك التشاحن الذى يحول الحياة الدنيا إلى جحيم لا يطاق :
﴿ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾
[ص ١]

﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله﴾ [المائدة ٩١]
وذكر الله معناه الأمن من عادات الزمن التى يصيبنا الله بها ابتلاء
وتمحيصاً :

﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا
هم يذكرون﴾ [التوبة ١٢٦]
﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم
يذكرون﴾ [الأعراف ١٣٠]

﴿ فإما تتقنهم في الحرب فشرذ بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴾
[الأنفال ٥٧]

وذكر الله معناه الأمن من عدم الوفاء بالعهود مما قد يسبب معاناة لا
حصر لها لمن يتضررون بعدم الوفاء هذا :

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد
جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ [النحل ٩١]

﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾ [الإسراء ٣٤]

﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ﴾ [البقرة ٤٠]

﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قرى وبعهد الله أوفوا ﴾
[الأنعام ١٥٢]

﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ﴾
[يوسف ٤٢]

وذكر الله معناه الأمن في ظل الرحمن :

﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم
معرضون ﴾ [الأنبياء ٤٢]

﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾
[الملك ١٦]

﴿ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف
نذير ﴾ [الملك ١٧]

﴿ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن
إنه بكل شئ بصير ﴾ [الملك ١٩]

﴿أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون
إلا فى غرور﴾ [الملك ٢٠]

﴿أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور﴾
[الملك ٢١]

وهكذا فإنه لا يمكن حصر المجالات التى يحقق فيها ذكر الأمن لأنه لا
يتناول النفس البشرية فقط بتركيبها الإعجازى الغريب بل إنه يمتد ليشمل
كل ما يؤثر فى تلك النفس ودنياها وأخراها وانعكاس هذا التأثير على القلب
بما يحقق اتصاله بمقلب القلوب ، الله نور السموات والأرض . وبالتالى فإنه
يعجز القلم عن توفية هذا المجال حقه ويكفي أن نردد قول الحق سبحانه
وتعالى :

﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات ٥٥]
﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن
القلوب﴾ [الرعد ٢٨]

ثالثاً : الحرف الثالث من كلمة الأمن وهو : النون للفرح
الكامل :

قد يشور إلى الذهن تساؤلات عميقة نتيجة هذا العنوان مضمونها : هل
هناك فرح ناقص وفرح كامل ؟ وما هو الفرق بينهما ؟ وكيف يتحقق
الأمن فى الثانى ولا يتحقق فى الأول ؟ وهل كل هؤلاء الذين نجدهم فى
الدنيا فرحين لا يشعرون بالأمن ؟ ونقول بصدق اليقين فى كلام الله : إن
الفرح الكامل هو الفرح بالله ومن الله والله . وهذا القول نابع من دستور الله
عز وجل :

﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾

[يونس ٥٨]

﴿ وأنه هو أضحكك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا ﴾ [النجم ٤٣ — ٤٤]

وأى فرح خلاف ذلك فهو زائف ومؤقت لأنه لا يحقق للنفس ابتهاجها الدائم وطمأنيتها المنشودة مما يجعل الإنسان يلهث وراء كل ما يتصور أنه يحقق له السعادة حتى ولو أدى به الأمر إلى ارتكاب المنكرات . ولكنه سرعان ما يزول تأثير تلك العوارض الزائفة وترجع النفس إلى قلق أشد لأنها بعدت أكثر عن منهج الله .

﴿ ذالكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ .

فالفرح الكامل هو الفرح بكل ما يرضى الله من إقامة دعائم الحق والخير والعدل فى المجتمعات البشرية لأن تلك الدعائم تحقق كل معانى الأمن والطمأنينة والسكينة فى الدنيا ثم لها الجزاء الأوفى فى الآخرة وفيما عدا ذلك فهو متاع الغرور لا يستحق أى فرح لأنه زائل . هذا الزوال نفسه مدعاة للحسرة كما قال أحد الصالحين :

أشد الغم عندى فى سرور يقن عنه صاحبه ارتحالا
أرى الدنيا على من كان فيها تدور فلا تديم عليه حالا

والأمثلة القرآنية التى ضربها لنا الحق جل وعلا تجل عن الحصر وتوضح لنا فى يقين لا يعتريه أى شك أن الفرح بمتاع الحياة الدنيا لا يحقق أى نوع من أنواع الأمن بل على العكس من ذلك فهو مدعاة لانتقام الله عز وجل فكيف يأمن من يعرف أن فرحه هذا عاقبته وخيمة ؟

﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتها
ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله
مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم
إذا هم يغترون في الأرض بغير الحق ، يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم
متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فتنبثكم بما كنتم تعملون ﴾
[يونس ٢٢ — ٢٣]

﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴾
[الرعد ٢٦]

﴿ فليضحكوا قليلاً وليكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴾
[التوبة ٨٢]

﴿ إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾
[المطففين ٢٩]

﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ [المطففين ٣٤]

ويعرض لنا الحق تبارك وتعالى العبر والعظات بكل أمة تركت العمل بما
أمرت به فكان عاقبة أمرها أن افتتنها الله بالرخاء والسعة والصحة مكان
البأساء والضراء فقرحت بتلك الماديات الحقيرة ونست خالقها المنعم . فهل
يمكن أن تشعر تلك الأم بالآمن ؟ حاشا لله أن تكون سنته في خلقه فلا بد
أن يذيقها من ألوان العذاب ما لا تقدر على احتماله سواء عذاب الاستئصال
فيما مضى أو الشقاء النفسى منذ بعثة سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه
عليه :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا

بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين ﴿ [الأنعام ٤٤]

فأى أمن يشعر به الإنسان إذا فرح بما يغضب الله أو فرح بما آتاه الله من
نعمة ويُعد عن منهج الله :

﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران ١٨٨]
وأى أمن يشعر به الإنسان إذا علم أن الله لا يحب الفرحين بالمتاع
الدنيوى والترف الزائل والحياة والفرور وهذا ما أخبرنا به الرحمن الرحيم في
قرآنه الكريم :

﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ [القصص ٧٦]
حتى إذا ظهرت علامات الفرح على بعض الناس من كثرة الأموال
والبنين فلا تغتر بذلك لأنه نعيم في الظاهر شقاء في الباطن لأنه قال وقوله
الحق :

﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا
وتزهد أنفسهم وهم كافرون ﴾ [التوبة ٨٥]

وأى أمن يشعر به الإنسان إذا كان فرحه مبنى على التقاعد عن الجهاد في
سبيل الله والبخل بالمال والنفس والخوف من نخوض المشاق في سبيل إرساء
أسس الحق والدين :

﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد
حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا
يكسبون ﴾ [التوبة ٨١ — ٨٢]

حقاً إن الأمن هو في الفرح الحقيقي القائم على تقوى الله لأن الفرح هنا معناه اتصال القلب بالخالق وكفى بها من فرحة .

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [الأحقاف ١٣]

أى أن الأمن من الهم والحزن هو في تقوى الله واتباع هداه :

﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [الأعراف ٣٥]

﴿فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة ٣٨]

ولذلك فقد كان الإنسان العارف بالله المتصل به يقول : (نحن في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف) وكيف لا ؟ وهو متصل بنور السموات والأرض إنه السعادة كلها والفرح كله والطمأنينة بأكملها :

لولاك يا سر الوجود ما طاب عيشي ولا وجودي
ولا ترغبت في صلاقي ولا ركوعى ولا سجودي

وهكذا من يظن الدين قيوداً تحدد من حرية الإنسان فقد ضل ضللاً كبيراً وبعد عن منهج الحق الذى أنزل علينا القرآن هدى ورحمة وشفاء لما فى الصدور ولا أدل على ذلك من تلك الكلمات التورانية التى يواس بها الله سبحانه وتعالى نبيه وحبيبه وقت شدته فيدد ظلام حزنه ويشيع فى نفسه فرحة وبهجة :

﴿ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم﴾ [يونس ٦٥]

ومن كرم الله تعالى وتفضله علينا أن هذه المواساة لم تقتصر على الرسول

فقط بل إنها امتدت لتشمل كل مؤمن دخل في رحاب الإسلام مسلماً
وجهه لله وللرسول فقال جل شأنه :

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾
[آل عمران ١٣٩]

﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون﴾ [المائدة ٦٩]

هذا هو الفرح الكامل وهذا هو الأمن الحقيقي إنه الفرح النابع من اتباع
منهج الله وطلب مرضاته والاستعانة به وقت الشدائد :

يا صاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بخير فإن الفسارح الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه	لا تيأس فإن الكفاف الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تفزعن فإن الصانع الله
إذا بليت فشق بالله وأرض به	إن الذي يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحد	فحسبك الله في كل لك الله

إن هذا الفرح تنبع أهميته العظمى في تحقيق الأمن من عدم اقتصاره على
الدنيا فقط بل إنه يمتد ليشمل الدارين :

« فالفرح بالجهاد في سبيل الله هو فرح كامل لأنه يضمن إحدى الحسنيين
إما النصر في الدنيا وما يتبعه من تحقيق مغنم وإما النعيم في الآخرة :

﴿ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله
وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ [آل عمران ١٦٩ — ١٧١] .

« والفرح بتقوى الله هو فرح كامل لأن فيه المعية مع الله في الدنيا والنجاة من العذاب في الآخرة :

﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل ١٢٨]
﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ [الزمر ٦١]

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [يونس ٦٢ — ٦٤]

« والفرح بالوفاء بعهد الله هو فرح كامل لأن عاقبته كلها خير ففيها تلقى الوعد الإلهي وياله من تلق :

﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ﴾ [البقرة ٤٠]
﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾ [فصلت ٣٠]
« والفرح بكتاب الله هو فرح كامل لأن فيه الخير كله والهدى والرحمة والبشرى :

﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ [العنكبوت ٥١]
﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل ٨٩]

وهكذا إذا حاولنا أن نحصر سبل الفرح الكامل فلن يسعنا الجهد لأنه هو الفرح الحقيقى النابع من الحق إنه الفرح بالله ومن الله والله وهو السبيل الوحيد لتحقيق الأمن للنفس المؤمنة وتنجيها كل عوامل القلق والتشتت

بالتعرض لأفراح وهمية مؤقتة تزول بزوال تأثيرها وبزوالها تترك في النفس ألماً وحسرة على ما فرطت في جنب الله بضيايح فترة من العمر والمال والمجهود في تحصيل متاع الدنيا الزائف . وهو ما يحذرنا منه سبحانه وتعالى أشد التحذير ويبين لنا منهجه واضحاً جلياً ليأخذ بيدنا من الظلمات إلى النور حتى لا تذهب النفس حسرات :

﴿ أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ﴾ [الزمر ٥٦]

وبشرح الحرف الثالث من كلمة الأمن وهو النون نكون قد انتهينا من شرح المفهوم الإسلامى للأمن . وننتقل إلى قمة أخرى من قمم الإسلام وهى المنهج التطبيقي لتحقيق الأمن للإنسان المسلم . فالإسلام دين عملي واقعي لم يقتصر على وضع المفهوم بل إنه وضع له الأسس والقواعد التى ترسخه وتعمقه فى المجتمع الإسلامى ففرض من القوانين والتشريعات العقائدية ما يحمى المسلم من كل ما يعرضه لعوامل القلق والاضطراب سواء داخلياً « فى عقيدته وروحه ونفسه » أو خارجياً « فى ممارسته الحياة اليومية مع إخوانه المسلمين » .

وستعرض بمشيئة الله لذلك المنهج الربانى فى تحقيق الأمن للمجتمع الإسلامى لنعرف كيف يقف الإسلام عملاقاً شامخاً يتحدى كل النظم والقوانين التى تتباهى بها الأمم .

المنهج الإسلامى لتحقيق الأمن :

إن الإسلام حقق الأمن للإنسان فى صورة مضيئة مشرقة حيث أفاض على القلوب الطمأنينة وعلى العقول النضج والوعى ونقل البشرية إلى تلك

القمة الساحقة وفتح لها آفاقاً واسعة سواء في ذلك الآفاق المكانية أو الزمانية لتجول فيها وتعرف أن وعد الله حق وأن لا ملجأ من الله إلا الله بالاعتصام واتباع منهجه :

﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ [الأعراف ١٨٥]
﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾
[ق ٣٧]

﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها﴾
[يوسف ١٠٥]

وهكذا فإن تلك الآفاق تحرر الإنسان من وطأة بشريته التي تسجنه داخل جدران جسده وعقله وأهوائه وشهواته وتسبب له القلق والضيق .
ثم لم يقتصر الإسلام على ذلك بل إنه وضع منهجاً متكاملًا لذلك الإنسان يحقق له الأمان المطلق الذي تنشده كل نفس بشرية . يشمل هذا المنهج خمسة دعائم أساسية تشكل في مجموعها دين الإنسان ودينه واقعه وأخراه احتياجاته العاجلة واحتياجاته الأخروية تلك الدعائم هي :

١ — الأمن للعقيدة :

حيث تشدد في توحيد العقيدة وبين أن الإسلام هو رسالة الرسل أجمعين ووضع دعائم الإيمان بالغيب كأساس لتقوية العقيدة . وصحح عقائد أهل الكتاب وحرّم الردة .

٢ — الأمن للنفس :

حيث عالج مخاوف النفس البشرية بشتى صورها سواء الخوف من الموت أو فوات الرزق أو المصاعب والمخاطر وحارب المذموم من الأخلاق كالغيرة

والحسد والنفاق والغش والكذب والخديعة والغيبة والتميمة وعالج اليأس
أخطر أعداء النفس البشرية .

٣ — الأمن للعقل :

حيث أعد البشرية للرشد العقلي وحمايتها من استنفاد العقل في تية
الفلسفات الذهنية وأهلها لاستخدام هذه الأداة العظيمة في إدراك الحق
وأسرار الخلق ولذلك كان هناك من القوانين الإلهية الكثير لحماية ذلك العقل
أهمها تحريم المسكرات وكل ما يضر بالعقل بزجه في متاهات الجاهلية
العمياء .

٤ — الأمن للعرض :

حيث حدد منهجه في الحفاظ على العرض بتحريم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ليعين الناس على التسامى ويطهر المجتمع مما يشوبه من أدران تسبب
له القلق والضياع .

٥ — الأمن للمال :

فالمال عصب الحياة وأى اختلال في تداوله يعرض المجتمعات الإنسانية
إلى هزات اقتصادية عنيفة فحرم كل طريقة لتداول الأموال بالباطل مثل
السرقه أو الغش أو الرشوة أو القمار أو احتكار الضروريات لإغلائها أو
جميع أنواع البيوع المحرمة .

وستتناول بالتفصيل إن شاء الله تلك النقاط الخمس لنوضح كيف يحقق
الإسلام الأمن للبشرية وكيف يعصمها من السقوط في مهاوى القلق
وكيف يأخذ بيدها إلى الطمأنينة والرضا والسعادة التي هي مطمع كل
إنسان وغاية مسعاه . فالله يقول الحق وهو أصدق القائلين :

﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ [الإسراء ٨٢]
﴿ وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [يونس ٥٧]
﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾
[الأعراف ٥٢]

ولنا أن نتخيل مجتمعاً دستوره الرحمة وملجأه الرحمن الرحيم ونبيه هو نبي الرحمة : أى أمن وأى طمأنينة تشيع فيه . فلنرهف السمع ونوقظ الحواس ونحن ننصت إلى ما جاءت به الشريعة الغراء لترسى بكل الوضوح وبكل معاني العظمة دعائم الأمن ليكون هو البشرى وهو الغاية وهو الجزاء الأوفى :

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام ٨٢]
﴿ فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون ﴾
[سبا ٣٧]

أولاً — تحقيق الأمن للعقيدة :

إن المنهج القرآني في دعم العقيدة الإسلامية غنى وزاخر ويجل عن الوصف . وكيف لا والتشريعات والتوجيهات الإسلامية كلها تنبع من أصل واحد وترتكز على ركيزة واحدة وهي عقيدة التوحيد المطلق . ومن تلك العقيدة في الله تنبع كل التصورات الأساسية التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والتي تؤثر على علاقات الناس بعضهم ببعض وفي العلاقات الدولية . كما أنها تجعل العبادات قاعدة للمعاملات بما فيها من تطهير للضمير والسلوك . وبالتالي فإن أى خلل في

دعم تلك العقيدة معناها إشاعة القلقلة والاضطرابات في المجتمع الإنساني حيث يتبع كل فرد هواه مما يترتب عليه الفوضى الشاملة في المجتمع ككل : ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص ٥٠]

فما هي تلك الخطوات التي اتخذها المنهج الإلهي لدعم العقيدة الإسلامية ، إن تلك الخطوات تتمثل في نواحي شتى نوجزها فيما يلي :
١ - التشدد في توحيد العقيدة :

إن الإسلام يتشدد في توحيد العقيدة في الله ورسله حماية للمؤمن من تشته بين أهواء ونوازع شتى تبدد طاقاته الروحية وتضيع معالم الهدف والطريق . قال تعالى :

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران ١٩]
وقال جل شأنه :

﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾
[النساء ١٥٠ - ١٥١]

فكل الأنبياء عملوا في معسكر واحد هو معسكر التوحيد وتحت لواء واحد هو قول ﴿لا إله إلا الله﴾ أما اختلاف المناهج في الشريعة فقد جاء حسب تطور البشرية من طفولتها المادية إلى شبابها الجارف إلى رجولتها الكاملة على يد خاتم الأنبياء ﷺ وما من شك في أن البشرية في فجرها أيام آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم غير البشرية أيام موسى وعيسى وغير البشرية أيام محمد ﷺ فعقيدة الأنبياء جميعاً واحدة وهي التوحيد أما الشرائع فإنها جاءت مطابقة لمقتضى أحوال الأمم فيما يصلحهم ديناً ودنيا .

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ [المائدة ٤٨]

وقال جل شأنه : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة ٤٨]

ولا شك أن هذا التوحيد هو العقيدة اللائقة بإنسان يرى وحدة الناموس في هذا الوجود أينما امتد بصره ولأنه هو التصور الكفيل بضم المؤمنين جميعاً في موكب واحد هو موكب النور في مواجهة صفوف الكفر وأحزاب الشيطان ومن ثم كان الإسلام هو الدين وكان المسلمون المعتقدون عقيدة صحيحة لم يدخلها أى نوع من أنواع الشرك هم ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

وقد عنى الإسلام عناية بالغة بتقدير حقيقة وحدانية الله سبحانه وحدانية لا تلتبس بشبهة شرك أو مشابهة في آية صورة من الصور وذلك لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ليعرفوا من صاحب السلطان في هذا الكون وفي هذه الأرض فلا يخضعون إلا له ولنهجه وشريعته في الحياة وهنا يتحقق الأمن والطمأنينة للمجتمع المسلم .

قال تعالى في حديث قدسى جليل يعتبر دستوراً تطبيقياً يؤكد على أن الإيمان بوحداية الله تعالى والتسليم له وحده كفيل بتحقيق كل دواعى الأمن للإنسان المؤمن :

﴿ يا موسى ما أحبنى من أحب المال وما أحبنى من أحب الدنيا فإنه لا يسع قلب واحد حبى وحبها أبداً . يا موسى ما خافنى من خاف الخلق وما توكل على من خاف فوات الرزق وعزق وجلالى ما توكل على عبد إلا كفيته ويدي مفاتيح الملك والملوك وما اعتصم بى عبد إلا أدخلته الجنة وكفيته كل مهمة ومن اعتصم بغيرى أسخت الأرض من تحته وقطعت الأسباب من فوقه ولا أبالى كيف أهلكته . يا موسى خمس كلمات ختمت

لك بين العزاة إن عملت بين نفعلك العلم كله وإلا لا ينفعك شيء منه ﴿
• الأولى : لا تخف ذا سلطان مادام سلطانى باقياً وسلطانى دائم لا يزول أبداً .

• الثانية : كن واثقاً من رزق مضمون لك مادامت خزائنى مملوءة وخزائنى مملوءة لا تنفذ أبداً .

• الثالثة : لا تر عيب غيرك مادام فيك عيب والمرء لا يخلو من عيب أبداً .
• الرابعة : لا تدع محاربة الشيطان مادامت روحك في بدنك فإنه لا يدع محاربته أبداً .

• الخامسة : لا تأمن مكرى حتى ترى نفسك في الجنة وفى الجنة أصاب آدم ما أصاب فلا تأمن مكرى أبداً .

أهمية التوحيد فى المنهج الإسلامى :

قال المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه : « يجب أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن كل ليلة ؟ فتقل ذلك على المسلمين وقالوا أينا يستطيع ذلك يارسول الله ؟ فقال لهم : اقرءوا : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . »

فلماذا احتلت سورة الإخلاص هذه المكانة ؟ يتضح هذا من اسمها فهى إخلاص الوجه لله وحده لا نشرك به سلطاناً :

﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾
[المؤمنون ١٦]

إنه الله الذى يجب أن يقاتل المؤمنون فى سبيله لإعلاء كلمة الحق ولا يخشون إلا إياه سبحانه وتعالى :

﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ١٣]
إنه الله الواحد الذى يهذى إلى الحق من اتبع سبيله ويضل من اتبع
الشهوات : ﴿قل هل من شركائكم من يهذى إلى الحق قل الله يهذى
للحق﴾ [التوبة ٣٥]

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجنات: ٢٣] .
هو الواحد الأحد له ملكوت السموات والأرض وتلك الأحدية فى حد
ذاتها لها عظمتها فى إشاعة الأمن فى الوجود كله لأنه كما قال جل وعلا :
﴿لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء ٢٢]

وتلك الوجدانية تحرر النفس من كل خوف من آلهة عاجزة تظهر فى
صورة ملوك جبارين فى الأرض وهم لا يملكون حولاً ولا قوة أمام قوة الله :
﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به
عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ [الأنعام ٨١]
إنه الفرد الصمد الذى يقصده الناس فى قضاء حوائجهم ويغيث
الملهوف ويفرج كرب المكروبين ويرفع راية المنصورين ويهذى الحيارى
واليائسين :

﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون . أمن يهذى فى ظلمات البر
والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما
يشركون أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله
مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [الثلث ٦٢ — ٦٤]
إنه الله الذى لم يلد ولم يولد لأنه غنى عن العالمين :

﴿ قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى ﴾ [يونس ٦٨]

﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ .

[الصافات ١٥١ — ١٥٢]

﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله

الواحد القهار ﴾ [الزمر ٤]

إنه الله الذى ليس له كفواً أحد سبحانه وتعالى جل شأنه :

﴿ يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾

[يوسف ٣٩]

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [الأعراف ٥٤]

﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى

عما يشركون ﴾

﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾

﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه

ترجعون ﴾

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله

غير الله يأتىكم بضياء أفلا تسمعون ﴾

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله

غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ [القصص ٦٨ — ٧٢]

سبحانك ربي لا إله إلا أنت يا من يقف القلم عاجزاً خاشعاً أمام عظمة

منهجك فى توحيد عقيدتنا بما يحقق للنفس اطمئنانها وسكونها إلى من بيده

أمرها :

سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد
يا حي يا قيوم أنت المرتجي وإلى علاك عنا الجبين الساجد

٢ — التأكيد على أن هذا المفهوم يجعل المسلم يزداد يقيناً
واعترافاً بدينه ويجعل نفسه مطمئن إلى أن هذا الدين هو الحق
المبين حيث دعا إليه رسل الله أجمعين من عهد آدم إلى خاتم الأنبياء
وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ .

﴿ومن يتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ [آل عمران: ١٩] .
لماذا ؟ لأن الإسلام هو الرسالة التي بعث بها الأنبياء عبر تاريخ البشرية
فهاهو سيدنا نوح يخاطب قومه فيقول لهم : ﴿فإن توليتكم فما سألتكم من
أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾
[يونس: ٧٢] .

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن عقيدة سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء فيقول
جل شأنه : ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً
مسليماً﴾ [آل عمران: ٦٧] .
وغرس سيدنا إبراهيم في نفس أولاده الإسلام وأنشأهم عليه وأوصاهم
به .

﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى فلا تموتن إلا
وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٢] .
وكان أهم ما يشغل أحد أحفاده وهو نبي الله يعقوب ساعة الموت حين
لقاء الواحد القهار هو الوصية بدين الحق دين التوحيد ألا وهو الإسلام .
﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من

بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً
ونحن له مسلمون ﴿ [البقرة : ١٣٣] .

وقالت الملائكة عندما كلفها الله بإخراج الذين آمنوا من قوم لوط
وإهلاك الباقين الذين كذبوا به وجحدوا نعمة ربهم : ﴿ فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين ﴾ [الذاريات : ٣٦] .

وما هو سيدنا موسى يبلغ المنهج الإلهي فيخاطب قومه قائلاً : ﴿ يا قوم
إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ [يونس : ٤٨] .

وعندما آمن السحرة برسالة موسى وهددهم فرعون بأبشع أنواع
العقاب قالوا له في يقين لا يتزعزع وقلب مطمئن بحلاوة التوحيد . ﴿ وما
تنقم منا إلا أن آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا * ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا
مسلمين ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

حتى فرعون عندما أدركه الغرق وعرف أنه لا ملجأ من الله إلا الله
قال : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من
المسلمين ﴾ [يونس ض ٩٠] .

وعلى لسان سليمان يقول الحق جلا وعلا : ﴿ فلما جاءت قيل أهكذا
عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾
[النمل : ٢٤] .

وتقول ملكة سبأ بعد أن هداها الله على يد نبيه سليمان : ﴿ وأسلمت
مع سليمان لله رب العالمين ﴾ [النمل : ٤٤] .

ويحكى لنا الله سبحانه وتعالى عن ذلك الحوار الرباني بينه وبين رسوله
الكريم عيسى فيقول جل شأنه : ﴿ وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي
وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] .

وقال تعالى لصفيه وحبيه محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ [الزمر: ١١ — ١٢] .

وهكذا فلا حجة للناس على الله بعد الرسل ولا عدوان إلا على الظالمين ولا عذر لعقيدة متميعة تتأرجح بين الشك واليقين فالإسلام رسالة شاذخة وارفة الظلال مغدقة الثمار ترفع رؤوس معتنقة عالية وتملأ نفوسهم عزة وأمناً وتضفى على خطواتهم ثباتاً وإرادة وكيف لا وهو عقيدة رسل الله أجمعين صفوة البشرية وساداتها جاء بها خاتمهم وأمامهم صلوات ربي وسلامه عليه فأغدق على النفس المؤمنة الطمأنينة والسكينة وسد عليها كل منافذ الشك والقلق .

٣ — الإيمان بالغيب كأساس لدعم العقيدة :

إن أعظم ما يدعو لدعم العقيدة وجعلها راسخة متينة لا تتزعزع هو مدى الإيمان بالغيب فالمؤمن يتحمل ما يلاقه من عنت ومشقة في الحياة راضياً لأنه محتسب أجره عند الله يطلب عفوه وغفرانه ودخول جناته كما أنه يتجاوز عن الزلات ويعفو عن المسيء ويكظم غيظه ويدفع بالتي هي أحسن ابتغاء مرضاة الله إيماناً بالغيب الذي نبأنا عنه الصادق المعصوم .

إن الإيمان بالغيب هو الاختبار الحقيقي للإنسان لأنه يجاهد وجوده المادى في سبيل وجوده المعنوى دون أن يرى الله صاحب الوجود الحقيقي ودون أن يرى الجنة أو النار لو تكشف له كل هذا لخضع لله جبراً وقسراً واختار الجنة وخشى النار لعظمة الأولى وجمالها وهول الثانية وجحيمها . وبالتالي لا يصبح هناك مجال لتفاوت أقدار الناس ومكائهم ولا ينصهر الإنسان وينصقل بخوض تجربة الحياة الدنيا التي أرادها الله له . ولتنصت إلى

حديث رسول الله ﷺ لتعرف فضل الله على من عبده بظهر الغيب :
 عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تبادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذاً وأكثر لك تسييحاً . قال فيقول : فما يسألوني ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة . قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يتعوذون من النار . قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله ما رأوها . قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة . قال فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » رواه البخارى .

حقاً إن الإيمان بالغيب هو المحك الحقيقى للإيمان وهو الاختبار الشاق للإنسان اختبار ما فى الصدور وتمحيص ما فى القلوب : ﴿ وليتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

وهذا الابتلاء يعرضه الله علينا فى كل شئ بعد فرض أوامره وعرض عاقبة المتقين ومن أمثلة ذلك : ﴿ ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٥ — ١٥٧] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم
ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب
أليم ﴾ [المائدة : ٩٤] .

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من
ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز ﴾ [الحديد : ٢٥] .

إن الإيمان بالغيب هو أمن وحماية وقوة للعقيدة لأنه سيوقظ الضمير
فيقف حارساً على الحواس لأنه يخاف الله ويخشى عاقبة أمره .

﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر
كريم ﴾ [يس : ١١] .

﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما
يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ﴾ [فاطر : ١٨] .

﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ﴾
[التوبة : ٩٤] .

والإيمان بالغيب يحمي الإنسان من عوامل القلق في البحث عما وراء
الطبيعة وعن نشأة الكون ونهايته وعما ينتظره ساعة الموت وفيما بعد الموت
لأنه آمن بالله ثم استقام والله يقول وقوله الحق :

﴿ وما كان الله ليلطعكم على الغيب ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون
أيان يبعثون ﴾ [الملك : ٦٥] .

﴿ والله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ﴾

[هود : ١٢٣] .

وجعله أهم صفات المؤمنين المتقين وهو أول ما يطالعنا في كتاب الله عز وجل في أول سورة البقرة حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ﴾ [البقرة : ١-٣] .

٤ - تصحيح عقيدة أهل الكتاب :

إن تصحيح عقيدة أهل الكتاب من يهود ونصارى هو في حد ذاته دعم للعقيدة الإسلامية لأنه اعتناء ببيان الحق وإظهاره وبيان الباطل وكشفه حتى يكون المؤمن على هدى من ربه فيطمئن قلبه ويسير في الحياة ثابت الخطى لأنه رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ﷺ . فتولى القرآن تصحيح عقائد أهل الكتاب التي جاء فوجدها مليئة بالتحريفات مشحونة بالأساطير مما يعدها عن العقيدة الصحيحة في الله وهذا يسبب قصوراً في العقل للبشر أجمعين يؤدي إلى الغلو والتفريط في تفكير البشرية جمعاء يعدها عن منهج الحياة وهو منهج الله . فيخاطب الله أهل الكتاب خطاباً زاجراً يردهم به إلى طريق الحق والجادة والصواب فيقول جل شأنه : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] .

إن ذلك الخطاب لأهل الكتاب احتل أهمية كبرى في القرآن الكريم نظراً لأنه خاتم الرسالات إلى العالمين فكان لابد من تخلص عقيدة التوحيد من كل ما يشوبها من أساطير البشر وتغيبهم في جاهليتهم العمياء .

ف نجد الحق سبحانه وتعالى يصحح لليهود اختلالات تصور التوحيد ويخرج ما تراكم عليهم من غبار الباطل فيقول جل شأنه :

﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفرو بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً وإياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ [البقرة : ٤٠ — ٤٣] .

ويتجه الله سبحانه وتعالى إلى المسيحيين بتصحيح ما اعترى ديانتهم من قصور بعد بهم عن معنى الدين الحقيقى وأصاب عقيدتهم بانحراف بعدهم عن الحق المبين فيقول جل شأنه : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ﴾ [النساء : ١٧١ — ١٧٢] .

إن الآيات التى يخاطب فيها الله اليهود والنصارى لبيان لهم العقيدة الصحيحة لا تعد ولا تحصى بحيث لا يسمح المجال هنا بسردها (١) . وما يهمنا الاستدلال به هو حرص المنهج الإسلامى على دعم عقيدة المسلم لأنها هى العقيدة الحققة التى ارتضاها الله لنا وبها نحقق الأمن فى أروع معانيه لأن التلقى فى شئون الحياة كلها من الله وحده ويا لها من نعمة عظيمة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ . [المائدة : ٣] .

٥ — تحريم الردة :

إن الإسلام عقيدة التسامح ولكنه ليس عقيدة التميع إنه تصور جاد ونظام جاد والجد لا يناقى التسامح ولكنه يناقى التميع فهو يتسامح مع أصحاب العقائد المخالفة له فلا يكرههم أبداً على اعتناق عقيدته ولهم حتى وهم يعيشون في ظل نظامه ودولته أن يجهروا بمعتقداتهم المخالفة للإسلام في غير ما دعوة للمسلمين ولا طعن في الدين وهو يحافظ على حياتهم وأموالهم ودمائهم ويمتعهم بخير الوطن الإسلامى بلا تمييز بينهم وبين أهل الإسلام ويدعهم يتحاكمون إلى شريعتهم في غير ما يتعلق بمسائل النظام العام .

إن الإسلام يتسامح هذا التسامح مع مخالفيه في العقيدة ولكنه لا يتسامح أبداً مع من يوحّدون الله ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم يرتدون بعد ذلك لأن هذا أخطر ما يمكن أن يطعن به الأعداء الإسلام وهذا ما فعله الكفار فعلاً في أول الدعوة لمحاربة الإسلام ورسول الإسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه حيث زين لهم الشيطان أن يعلنوا إسلامهم ثم يرتدوا بعد ذلك معلنين أن هذا الإسلام ليس أهلاً لهم وفيه من المبررات ما يجعلهم يرجعون عنه وهذا ما أخبر به الله العليم رسوله الكريم حتى يحذره منهم :

﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ [آل عمران: ٧٢] .

ومن هنا وحماية للعقيدة الإسلامية وتدعيماً لها حرمت الردة في الإسلام تحريماً قطعياً ووصلت عقوبة تلك الجريمة إلى حد القتل وذلك حتى لا يستباح دين الله لضعاف النفوس أن يجعلوه مطمعاً لتحقيق أغراضهم ثم ينفضوا منه بعد ذلك تاركين وراءهم البلبلة والتزعزع في عقيدة الباقين

ولذلك قال الصادق المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « من خالف دينه دين الإسلام فاضربوا عنقه » وقال أيضاً ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » .

وهذا الحكم مستمد من القانون الأساسى وهو القرآن الكريم حيث يقول الله عز وجل ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يردكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

وهكذا لم يترك الإسلام ثغرة واحدة يمكن أن ينفذ منها الشك في العقيدة إلا وأحكم مغاليقها لتظل عقيدة المسلم قوية البنيان عميقة الأساس لا تزلزل ولا تهتز لا تستطيع جيوش الباطل مهما أوتيت من قوة أن تغلبها أو تنتصر عليها وهكذا يعيش المؤمن في أمن عقائدى لا يشعر بعظمة هذا الأمن إلا من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان وكفى بها من نعمة .

وننتقل الآن إلى مجال آخر من المجالات التى اهم الإسلام بتحقيق الأمن فيها بل إنه مجال لا يقل أهمية عن مجال العقيدة لأنهما متلازمان متلاصقان لا غنى لأحدهما عن الآخر وهو مجال النفس البشرية . فإن كانت العقيدة كالغيث فإن النفس كالأرض وكلما كان الغيث غزيراً والأرض خصبة فإنها تؤتى ثمارها كأروع ما يكون الجنى . فتتجول في رياض الإسلام ونرى كيف أسبغ على النفس المؤمنة كل أمن وطمأنينة وأحاطها بسياج منيعة تخمىها من عواصف القلق المدمرة .

ثانياً — تحقيق الأمن للنفس :

ما أعظم المنهج الإسلامى فى علاج النفس البشرية من كل المخاطر والصعاب التى تعترض طريقها فى الحياة الدنيا . ذلك المنهج الذى تتضاءل أمامه كل علوم النفس التى تحاول دراسة وعلاج الصراعات النفسية وكيف لا وواضع المنهج هو الحكيم الخبير خالق النفس البشرية الذى يعلم مستقرها ومستودعها . يقول الحق جلا وعلا تأكيداً عن هذا العلم : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ [ق : ١٦] .

﴿ ربكم أعلم بما فى نفوسكم ﴾ [الإسراء : ٢٥] .
﴿ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

وانطلاقاً من هذا العلم فإن المنهج الربانى أخذ النفس الإنسانية بطريقته الخاصة أخذها بسلطان الله وخشيته ومراقبته وبحضور الله سبحانه وتعالى فيها حضوراً لا تملك الغفلة عنه لحظة من زمان . أخذها جملة لا تفارق وعالج الفطرة بطريقة خالق الفطرة : لقد ملأ فراغها باهتمامات كبيرة لا ندع فيها فراغاً فنقل البشرية من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الناس إلى عدالة الإسلام وهكذا امتلأت النفوس المؤمنة بالإيمان ذلك الإحساس الندى الرضى البهيج فلم تعد بحاجة إلى نشوة الخمر أو إرضاء الرغبات والشهوات الكاذبة لأنها ترف بالإيمان المشع إلى الملأ الأعلى الوضىء وتعيش بقرب الله ونوره وجلاله وتذوق طعم هذا القرب فتصبح كل نشوة عداها . إنه استنفذ الفطرة من ركام الجاهلية وفتحها بفتحها الذى لا تفتح بغيره وتمشى فى نحاياها وأوصالها وفى مسالكها ودروبها . ينشر النور والحياة والنظافة والطهر واليقظة والهمة والاندفاع للخير الكبير والعمل الكبير والخلافة فى الأرض على أصولها التى قررها العليم الخبير وعلى عهد الله وشرطه وعلى هديه ونوره .

وبالتالى فإن هذا المنهج الإسلامى لم يحاول زرع اليأس فى النفس البشرية بل استجاشة تلك النفس وتشجيعها وتحذيرها وطمأنتها فى آن واحد وشمل العلاج نواحى عدة يعجز الإنسان عن حصرها ولكن يمكن تلخيصها فى عدة نقاط رئيسية تضم كل منها العديد من اتجاهات المنهج الربانى. لتحقيق الأمن للنفوس :

- ١ — علاج الخوف بكل أنواعه : سواء الخوف من الموت أو من فوات الرزق أو أى نوع من أنواع المخاطر والصعاب .
- ٢ — علاج اليأس : هذا اليأس الذى قد يهدد حياة الإنسان بالشلل التام . وبالتالى يؤدى إلى تدميرها .

٣ — علاج مساوئ الأخلاق والدعوة إلى مكارمها : وذلك لتهديب النفوس البشرية ومحاربة كل ما يعكر صفو المجتمعات من شيوخ وذائل الأخلاق التى ترزّل كيائها وتنشر الحقد والكراهية والقلق بين الناس .

١ — علاج الخوف بكل أنواعه :

إن المنهج الإسلامى وضع العلاج بطريقته الخاصة وهى رد تلك النفس إلى خالقها فى كل ما يعتريها من خوف وارجاعها إلى الواحد الحق الذى إليه المنتهى وإليه المصير : فالنفس التى تخاف من الموت إذا رجعت إلى خالقها وأرهفت السمع إلى آياته المحكمات عرفت أن الموت علينا حق مهما فررنا منه أو أحجمنا عن ملاقاته فى أى صورة من صور الجهاد لإعلاء كلمة الحق فى مواجهة الباطل : ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ٨٩] .

﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ﴾ [الواقعة : ٦٠] .

﴿ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥].
﴿ لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [يونس : ٤٩].

حقاً إن الموت حتم في مواعده المقدر لا علاقة له بالحرب والسلام ولا علاقة له بحصانة المكان الذي يختص به الفرد أو قلة حصانته ولا يؤخره أن يؤخر عن الناس تكليف القتال ولا التكاليف الجهادية تعجله عن مواعده وبالتالي فلا داعي لخوف النفس وجزعها وخشيتها من خوض المكاره والحروب : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ [النساء : ٧٨].

﴿ قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾
[آل عمران : ١٦٨].

﴿ وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ [لقمان : ٣٤].
﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾
[آل عمران : ١٤٥].

ومتى أيقنت النفس ذلك اندفعت آمنة مطمئنة في خضم الحياة ترسى دعائم الحق والعدل والخير غير هيابة ولا وجله لأن كلمات الحق جل وعلا كشفت لها حقائق الوجود في سهولة ويسر وأصبح عندها رؤية واضحة محددة للأمور فالموت معناه لقاء الله ولقاء محمد وصحبه الأخيار الأبرار ومعناه انتهاء ما فيه الإنسان من مكابدة ومشاق والانتقال إلى سعادة لا شقاء بعدها أبداً ونعيم لا يزول لأنه نال ذلك بحسن عمله في الحياة الدنيا :

﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾
[الملك : ٢].

﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ [النساء: ١٠٠] .

حماية الإسلام للنفس :

رغم أن الإسلام وضع ذلك المفهوم الواضح للموت إلا أنه لا يأبى أن يلقي الإنسان بنفسه إلى التهلكة . فالنفس أمانة حرص الإسلام على حمايتها بكل القوانين التشريعية وذلك لإسباع صفة الأمن على المجتمعات البشرية بحيث لا تذهب الأرواح سدى بل إذا كان لابد من ذلك فليكن فيما يعود بالخير العميم والنفع الأكيد على المجتمع بأسره . ولذلك حرم الإسلام القتل في غير قصاص وفي غير دفع فساد في الأرض تحريماً قاطعاً :

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ [المائدة : ٣٢] .

إن قتل نفس واحدة بدون سبب شرعي يعدل قتل الناس جميعاً لأن حق الحياة واحد ثابت لكل نفس وقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على هذا الحق الذي تشترك فيه كل النفوس وبالتالي فإن الحفاظ على الأرواح يجعل الناس تستمتع بالأمن وتزاول نشاطها في طمأنينة .. وهذا يدعو إلى رقي الحياة الإنسانية وزيادة الخير والفضيلة والإنتاج والنمو وبخاضة إن هذا المجتمع يوفر للناس جميعاً ضمانات الحياة كلها وينشر من حولهم جوا تنمو فيه بذور الخير وتذوى بذور الغدر والشر .

هكذا حكم الإسلام بالنسبة لقتل أى نفس عموماً فما هو حكمه بالنسبة لقتل النفس المؤمنة ؟

لا يوجد سبب في منطق الإسلام يمكن أن يفوق ما بين المسلم والمسلم ومن وشيعة العقيدة ومن ثم لا يقتل المسلم مسلماً أبداً وقد ربطت بينهما هذه الرابطة الوثيقة اللهم إلا أن يكون ذلك خطأ . وللقتل الخطأ توضع التشريعات والأحكام . أما القتل العمد فلا كفارة له لأنه وراء الحساب ووراء حدود الإسلام : ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾ [النساء: ٩٢] .

فهذا هو الاحتمال الوحيد في الحس الإسلامي وهو الاحتمال الحقيقي في الواقع . فإن وجود المسلم إلى جوار المسلم مسألة كبيرة جداً ونعمة عظيمة جداً حيث تجمع المسلمين العقيدة والقربة في رسول الله ﷺ ثم ترتقى فتجمعهم في الله سبحانه وتعالى الذي ألف بين قلوبهم ذلك التأليف الرباني العجيب :

﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ [النساء: ٩٣] .

إنها جريمة قتل لا لنفس فحسب بغير حق ولكنها كذلك جريمة قتل للوشيعة العظيمة التي أنشأها الله بين المسلم والمسلم إنها تنكر للإيمان ذاته وللعقيدة نفسها وبالتالي فمن العسير أن يقدم مسلم على ذلك بسهولة وهو أكبر أمن للنفس في المجتمع الإسلامي .

ولم يقتصر الأمن في الإسلام على النفوس البشرية إنما تجاوزه إلى مخلوقات الله المتنوعة . فقد حدث أن صحابياً أخذ بعض أفراخ طير من تحت أمه فغضب الرسول ﷺ لذلك وأمره أن يرد الأفراخ إلى أمها وذلك حتى لا يفرع تلك الأم .

ولقد أعلنها عمر رضى الله عنه صريحة مدوية عبر التاريخ : لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله عنها لم . لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟

وقال ﷺ « إن الفاجر إذا مات استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب » وهل يستريح العباد والشجر والدواب إلا من اعتداء الفاجر عليه بالقتل أو الهدم أو التعذيب ؟

ويردد لنا التاريخ حرص الإسلام على النفس بصفة عامة في تلك الوصية التي كان يوصي بها الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق — الجيوش الإسلامية وهي ذاهبة لقتال العدو في الميدان فيقول لهم : لا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا صبيّاً ولا تقطعوا شجراً ولا تذبحوا من الأنعام إلا للطعام وستجدون قوماً في الصوامع فدعوهم وما يدينون . فأى خوف من الموت إذن يمكن أن ينتاب الإنسان في مجتمع مسلم وأى أمان تشعر به النفوس في ذلك المجتمع . فالموت على كل الوجوه هو لقاء الله عز وجل فما أعظمه من لقاء وخاصة إذا كان هذا الموت في سبيل الله وعلى سنة رسوله الكريم .

الخوف من فوات الرزق لا معنى له في الإسلام :

لأنه من بديهيات العقيدة الإسلامية أن الرزق بيد الله يوزعه بحكمة وعدل على عباده :

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ له مقاليد السموات والأرض يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ [الشورى: ١٢] .

﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ [الحجر: ٢١] .

﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات : ٢٢] .

وهكذا يحدد المنهج الرباني بوضوح ويقين مصدر الرزق وتوزيع الأرزاق حتى يكبد المسلم ويجهد في الحياة بدون قلق أو خوف لأنه على يقين أن رزقه سيأتيه من خالق السموات والأرض فدستور المسلم وهو القرآن العظيم حافل بما يؤكد هذا اليقين :

﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ﴾ [يونس : ٣١] .

﴿ أمن يدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ﴾ [النمل : ٦٤] .

﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ﴾ [سبا : ٢٤] .
﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ [فاطر : ٣] .
﴿ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ﴾ [الملك : ٢١] .

والمؤمن على يقين أن هذا الرزق يتفاوت فيه الخلق لحكم كثيرة أرادها الحق سبحانه وتعالى تختص بعلمه وحده : ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾ [النمل : ٧١] .

﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز ﴾ [الشورى : ١٩] .

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾
[الزخرف : ٣٢] .

وهكذا يعالج الإسلام ضعف النفس وحرصها وشحها وتصورها
الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة . فيقرر الله تلك الحقيقة
الأزلية وهي أن الرزق بيد الله لبث عوامل الطمأنينة في نفس المؤمن فيسعى
لطلب الرزق دون أن يشغله ذلك عن إقامة دعائم الحق :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾
[الطلاق : ٣] .

﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾
[الأنعام : ١٥١] .

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾
[الإسراء : ٣١] .

﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [الملك : ١٥] .

إذن فليس هناك أدنى شك عند المؤمن الواثق بربه أن الرزق بيد الله فلا
داعى للخوف ولا داعى للاتقياء لتلك النفس الأمارة بالسوء بل عليه
السعى لذكر الله والمشى في مناكب الأرض والتوكل على الله . قال الصادق
المعصوم : « لو توكلتم على الله حق تكاله لرزقكم كالطير تغدو خماساً
وتعود بظاناً » . فليطمئن المؤمن نفسه وليقل لها دائماً :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عجل

وها هو الحى القيوم يزيل ما بقى عالقاً بالنفوس من مخاوف بصدد
الرزق فيقول جل شأنه في حديث قدسى قريب من نفس المؤمن :

« ابن آدم خلقت السموات والأرض ولم أعصى بخلقهن أفيعينى رغيف أسوقه إليك كل حين . ابن آدم لى عليك فريضة ولك على رزق فإن خالفتنى فى فريضتى لم أخالفك فى رزقى . وعزقى وجلالى إن لم ترض بما قسمت لك فلاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية لا ينالك منها إلا ما قسمت لك ولا أبالى . »

إذن على المؤمن إقامة دعائم الحق وعلى الله الرزق . فإذا تعرض للفتنة فى الدين فأمامه الهجرة فى سبيل الله حيث يجد فى الأرض متسعاً للرزق ومنطلقاً للنجاة والحياة : ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾ [النساء : ١٠٠] .

فالهجرة فى سبيل الله هى الشرط والأساس لوجود الخير والأمن فى الأرض . أما الهجرة للتراء أو الفرار من الحق أو لأجل الحصول على المملدات والشهوات فلا تدخل ضمن الوعد الإلهى .

— أما الخوف من أنواع المخاطر والصعاب : فله العلاج فى الصيدلية الإسلامية : لأن الله — سبحانه وتعالى — يعلم حقيقة النفس البشرية وأنها قد تنجم أمام الصعاب والمخاطر وقد تيأس فيعالجها الله باستجاشتها وطمأنتها فى آن واحد ويأخذ بيدها فى كل موقف من مواقف الحياة لتجتازه بعقيدة إيمانية ثابتة ويقين لا يتزعزع بنصرة الحق سبحانه وتعالى :

□ فعند لقاء العدو عندما تأتى تلك اللحظات التى تعلو فيها المشقة على الطاقة ويربو الألم على الاحتمال يحتاج القلب البشرى إلى مدد وإلى زاد سماوى علوى . هنالك يأتى المدد من هذا المعين ويأتى الزاد من رب العالمين الرحمن الرحيم فيقول جل شأنه : ﴿ ولا تمنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تأملون فإنهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً ﴾ [النساء : ١٠٤] .

هكذا يطمئنهم الحق جل وعلا : أنهم إن كانوا يحتملون آلام المعركة بجميع أنواعها فليسوا وحدهم الذين يتحملونها .. بل إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح والألم ولكن شتان بين الفريقين فالمؤمنون يتوجهون إلى الله بجهادهم ويرتقبون عنده جزاءهم وهذا يسبغ عليهم الأمن والطمأنينة في المعركة لأن عاقبتهم كلها خير فإما النصر وإما الشهادة أما الكفار فهم ضائعون مضيعون لا يتجهون لله ولا يرتقبون عنده شيئاً في الحياة ولا بعد الحياة :

﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً ﴾ [هود : ٢٤] .
﴿ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ [المائدة : ١٠٠] .

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ [النساء : ٧٤] .
ولربما أتت على العصبية المؤمنة فترة تكون فيها في معركة مكشوفة غير متكافئة ولكن القاعدة لا تتغير فالمؤمن دائماً بخير لأنه يتلقى مدداً إيمانياً يختلف في طبيعته وقوته عن مدد الأعداء . ذلك المدد يصل إليه في إشعاعات نورانية تلقى في صدره الأمن والجرأة لأن الحق يخاطبه بها فيقول عز من قائل :

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد : ٧] .

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ [غافر : ٥١] .

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ [الحج : ٤٠] .

ولما كانت المخاطر والصعاب التي يواجهها المؤمن لا تتعلق بالحرب فقط بل هناك الكثير من الاختبارات الإيمانية التي يتعرض لها المؤمن بالابتلاءات الإلهية . فما زال هناك الكثير في منهج العلاج من الصيدلية الإسلامية . يقول الصادق المعصوم في حديث جامع شامل لمواجهة تلك المخاطر والصعاب .

« حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالتضرع والدعاء » . ويقول أيضا صلوات ربي وسلامه عليه : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب » .

وهكذا فلا خوف من البلاء بل صبر وطمأنينة وسكينة من عند الله :

﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [البقرة : ١٥٦] . وننتقل الآن إلى الفرع الثاني من المنهج الإسلامي لتحقيق الأمن للنفس وهو علاج اليأس .

٢ - علاج اليأس :

إن اليأس لا مكان له إطلاقاً في أساسيات العقيدة للمسلم لأن المنهج الإسلامي اهتم بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة حية له في شعورها وسلوكها فيرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس فتكون شهادة لهذا الدين بدعوة الناس إليه وبيان فضله ومزيته حيث صاغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال .

فاليأس يشتت قوى الإنسان ويذهب نفسه حشرات ويجعله عضواً غير نافع في المجتمع الإنساني بل إنه عضو ضار ينقل عدوى اليأس والإحباط إلى غيره وينشر القلق والفشل بين الناس . وهو أخطر ما يهدد المجتمعات بصفة عامة ولذلك فهناك قاعدة أساسية في بناء المجتمع الإسلامى مكتوب على بابها : ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ [يوسف : ٨٧] .

فاليأس معناه الشك في قدرة الله ولذلك فهو يعادل الكفر . أما المؤمن فهو يعلم علم اليقين أن بيده مقاليد الأمور : ﴿ وإن يمسخك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسخك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ [الأنعام : ١٧] .

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [التوبة : ٥١] .

وبالتالى فعليه أن يسعى لتذليل كل ما يقابله من صعوبات في الحياة : « لأن الله لم يخلق داء إلا وجعل له دواء » . كما قال لنا الصادق المعصوم فيجب أن يعمل ذهنه في البحث عن هذا الدواء مهما عز أو ندر . فما خلقنا في هذه الدنيا إلا لنكد وتتعب فيها ونتنصر على كل ما يواجهنا من متاعب الحياة . وهذا الانتصار في حد ذاته هو ما يؤهل المؤمن لدخول الجنة حيث لا يشقى بعدها أبداً : ﴿ أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

﴿ أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون ﴾ [التوبة : ١٦] .

إن الخالق العليم بخبايا النفس البشرية يعلم أن الإنسان يميل إلى التراخي وحب النعيم الدائم أما الابتلاءات الإلهية التي تضطره إلى الكفاح والمجاهدة فإنها قد تدفع به إلى اليأس فيحدثنا عن ذلك في قرآنه الحكيم فيقول عز من قائل : ﴿ وَلئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليتوس كفور ﴾ [هود : ٩] .

﴿ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط ﴾ [فصلت : ٤٩] .

﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض وننا بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

ولكن هذا يتعارض مع البناء الأساسي للعقيدة الإسلامية التي تركز على التوحيد المطلق سمة هذه العقيدة والتي ترد الأمر كله لله . فليعلم المسلم أنه مهما أحاطت به المحن فإنه بإيمانه بالله والإلتجاء إليه والتوكل عليه والاستمسك بمنهجه سيجتاز تلك المحن بمشيئة الله تعالى ويشعر بعدها بقرب أكثر من الله وبسعة رحمته : ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ [التوبة : ١١٨] .

فالإسلام دين العمل والجهاد والصبر والثبات والبذل والتضحية . أما اليأس فمعناه انحراف عن ذلك الدين القيم واتجاه في طريق الضلال والعياذ بالله :

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

فليتمسك المؤمن بدينه الذى ارتضاه وينفذ كلام ربه العظيم وسنة رسوله الذى أرسله الله رحمة للعالمين . وحينذاك سيكون بينه وبين اليأس بعد المشرقين :

﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ [الحجر : ٥٦] .

وهكذا فلا يأس مع الإيمان ولا إيمان مع اليأس بل رجاء فى رحمة الله وعفوه ورضاه وامثال لأوامره واجتناب نواهيه فالبشرى تتردد مع آيات الله البينات :

﴿ لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ [الزمر : ٥٣] .

[إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً] [آل عمران : ١٢٠] .

﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

تلك الرحمة هى التى تشفى صدور قوم مؤمنين وتخرجهم من الظلمات إلى النور وتبعدهم عن مهاوى اليأس والهلاك وتنجى كل من دعا ربه فى أحلك لحظات حياته . يحدثنا المولى سبحانه وتعالى عن آثار رحمته التى تنجى عباده المؤمنين من كل كرب فيقول عز من قائل :

﴿ فأنجيناه والذين معه برحمة منا ﴾ [الأعراف : ٧٢] .

﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾

[يونس : ٨٥] .

﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾

[هود : ٦٦] .

﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾

[هود : ٩٤]

﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾
[الكهف : ٨٢] .
﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ [مريم : ٢] .
﴿وآتيناه أهلكه ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾
[الأنبياء : ٨٤] .
﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها﴾
[الروم : ٥٠] .
﴿قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة﴾ [الأحزاب : ١٧] .
﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ [فاطر : ٢] .
فكيف يكون هناك يأس مع دين ربه هو الرحمن الرحيم ورسوله هو نبي الرحمة ومن مواد دستوره ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر : ٥٣] .
فإذا عرفنا أيضاً عدد الآيات التى ذكرت فيها كلمة الرحمة تبلغ ٣٣٩ آية لأيقنا عظمة هذا الدين فى علاج النفس البشرية من أكبر أفاعها التى تحرمها من أعظم نعمة فى الوجود ألا وهى الأمن . فكيف إذن يشعر إنسان مؤمن باليأس وهو يعلم علم اليقين أنه يعيش فى كنف الرحمن الرحيم .
٣ — علاج مساوىء الأخلاق والدعوة إلى مكارمها :

لا يدرك حقيقة نعمة الأمن فى هذا الدين ولا يقدرها قدرها من لم يعرف حقيقة الجاهلية ومن لم يذق ويلاتها والجاهلية فى كل زمان ومكان هى تلك النفوس التى لم تتأدب بأدب الله ولم ترتو من معين العلم الإلهى . ولذلك فقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالجانب الأخلاقى لأن تلك الأخلاق

هي المرآة الحقيقية لقياس حضارة الشعوب وتقدمها الروحي فحين تتشرب النفوس حلاوة الإيمان فإنها تشع بهجة وصفاء وتنشر الأمن والطمأنينة على كل من حولها .

وها هو المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه يحدد بوضوح لا ريب فيه اهتمام المنهج الإسلامي بالأخلاق لأنها المعول في بناء المجتمعات الآمنة الراقية إلى السموات العلى فيقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

بل إنه لا يكتفى بذلك بل يحدد بوضوح أكثر أن التعامل بين الناس هو المقياس الحقيقي لدرجة الإيمان لأنه انعكاس لنفوس تأدبت بأدب الإسلام فيقول الحبيب المصطفى ﷺ : « الدين المعاملة » .

ويقول أيضا معلم البشرية وهاديا إلى الرشd والخير :
« الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل » .

والمنهج الإسلامي لتهديب النفوس وإزالة كل ما يكدر صفوها ويحرمها من متعة الأمن — الذي يمكن أن تتمتع به النفس المؤمنة غنى وزاخر ويجل عن الوصف فضلا عن الحصر ولذلك سنجتهد بعون الله في اقتطاف بعض رياحين ذلك المنهج كنماذج للاستشهاد على كلامنا . أما المنهج ككل فلا يدرك خباياه إلا من صدق الله ورسوله في السر والعلن وتذوق حلاوة الإيمان وبهجتها لأن الحبيب محمد ﷺ قال : ﴿ من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ﴾ .

من معالم ذلك المنهج الرباني لتهديب النفوس :

١ — الوفاء بالعهود :

قال تعالى : في التأكيد على الوفاء بالعهود في كل صورها طالما أنها في حدود ما أمر به الله ورسوله :

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ [النحل: ٩١] .
﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ [الفتح: ١٠] .
﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ﴾ [آل عمران: ٧٧] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا دين لمن لا عهد له ولا إيمان لمن لا أمانة له » . وهكذا فلا يحل لمسلم أن يخون الله ورسوله وبالتالي لا يخون أخاه المسلم الذي ارتبط معه بو شبيعة القرابة في الله ورسوله . إنه مجتمع يسوده الأمن على الوفاء بالعهد لأن نفوس أفرادها انتهلت من معين سماوى علوى فاطمأنت بنور الله .

٢ — رعاية الحقوق :

حرص الإسلام حرصاً شديداً على تربية النفوس على رعاية حقوق الغير وهذا في حد ذاته حفظاً لحقوق المسلم نفسه . لأن القوانين الإلهية شملت تحديد حقوق المجتمع بأسره سواء كانت حقوق الأبوين أو الزوجين أو الأبناء أو الأهل والجيران والأحباب . حتى أهل الديانات الأخرى لهم أيضاً حقوق . وبالتالي فإن مراعاة تلك الحقوق جميعها تنشر الأمن بين أفراد المجتمع المسلم فيسعى كل فرد لبناء المجتمع وهو قرير العين مطمئن على نفسه وماله وعرضه لأنه يعيش في ظل دستور الحكيم الخبير . ويسير على سنة رسوله الكريم الذى قال في حديث جامع شامل : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

بل وصل التشدد الإسلامى في رعاية حقوق الغير إلى أقصى مداه فحرم الاعتداء على تلك الحقوق التى تؤدى إلى فرع أصحابها حتى ولو كان ذلك على سبيل المزاح فقد حدث أن صحابياً أراد أن يمزح فأخفى نعل أخيه فلما

بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب وقال « من فرع مسلماً فليس منا » .

٣ — محاربة النفاق :

إن النفاق في حقيقته هو الضعف عن الإصرار على الحق في مواجهة الباطل وهذا الضغط هو ثمرة الخوف والطمع وتعليقها بغير الله . ولا يخفى على أى عاقل ما للنفاق من آثار هدامة على المجتمعات البشرية لأنها تنشر القلق بين الناس على حقوقهم التي تضيع بسبب تمسكهم بالحق في نفس الوقت الذي يرون فيه فئات تنمو وتحقق السيادة لأنها تتحلق بالباطل وهذا بدوره يؤدي إلى الإحباط لدى النفوس التي تكذب وتشقى ولا تجد ثمار عملها علاوة على انتشار جميع الأمراض الأخلاقية التي تفتك بالمجتمع نتيجة انتشار النفاق مثل الغش والمحسوبية والرشوة والتهاون في الانتاج وتدهوره وظهور قوى الشر على قوى الخير لأنها تجد من يدعم سلطتها بالنفاق .

ولذلك وضع الحق سبحانه وتعالى أبشع أنواع الجزاء للمنافقين حتى يكون العقاب رادعاً عن التمسك بهذه الخصلة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر فقال تعالى :

- ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ﴾ [النساء : ١٣٨] .
- ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [النساء : ١٤٥] .
- ﴿ نسوا الله فأنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ [التوبة : ٦٧] .
- ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ﴾ [التوبة : ٦٨] .

٤ — تطهير ضمائر المجتمع المسلم :

ركز المنهج الإسلامى على رفع المستوى الخلقى والنفسى للمجتمع المسلم حتى تشيع الثقة المتبادلة بين المؤمنين ويعيش الجميع فى أمن من انقطاع

روابط المودة والألفة بينهم الناتجة عن : سخرية الناس بعضهم من بعض أو الجهر بالسوء أو التنازع بالألقاب أو سوء الظن الذى يحيط كثيراً من أعمال الخير ويؤدى إلى الصاق التهم بالأبرياء أو التجسس الذى يحرم الناس من حق الأمن على أسرارهم أو الغيبة والهميمة التى تجعل الإنسان غير آمن على ما يقال فى غيابه من كشف عوراته أو إلحاق الضرر والأذى به . وكل هذه مساوئ أخلاقية إذا انتشرت فى أى مجتمع انتشر معها كل عوامل القلق النفسى وهضم الحقوق وتدمير كيان الإنسان ببعثرة ما تحتويه سريره على ألسنة الخلق .

والويل كل الويل للمجتمع يعانى من تلك الأمراض أنه يحرم من كل أمن ومن كل سعادة ومن كل طمأنينة . ولذلك فقد كان التركيز الإسلامى على تلك الناحية عميقاً كل العمق حازماً كل الحزم . نكتفى هنا بالإشارة إلى بعض الآيات القرآنية التى تنهى عن ذلك ويكفى أن النهى من رب العالمين ملك الملوك الأعظم . قال رب العزة جل شأنه فى إرساء المنهج الربانى لتطهير ضمائر عباده المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَ خَيْراً مِنْهُنَّ . وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾

﴿ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً إِنْ تَبَدُّوا خَيْراً أَوْ خَفَوْهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٨] .

وهكذا فإن الحكيم الخبير يعلم شدة حساسية المجتمعات وأنها في حاجة إلى آداب اجتماعية تتفق مع هذه الحساسية ورب كلمة عابرة لا يحسب قائلها حساباً لما وراءها ورب شائعة عابرة لمن يرد قائلها بها إلا فرداً من الناس ولكن هذه وتلك تترك في نفسية المجتمع وفي أخلاقه وفي تقاليده وفي جوه آثاراً مدمرة تشيع القلق والفساد وتتجاوز الفرد المقصود إلى الجماعة الكبيرة ومن هنا كانت الدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن مذومها من أعظم نعم الله لتحقيق الأمن للنفس المؤمنة .

٥ — ضبط النفس وسماحة القلب :

إن هذا الخلق هو من أهم العوامل التي تحقق الأمن في المجتمعات الإسلامية لأنه ليس من حق المسلم في فورة الغضب التي تذهله ودفعه الشنآن أن يعتدى على الغير بل إنه بالاستعانة بالله يمكنه كبت مشاعر الغضب التي قد تمتد إلى مدى لا يحمد عقباه بل إنه يمكنه التسامى والتسامح بتقوى الله وطلب مرضاته : ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ [المائدة: ٢] .

﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾
[آل عمران : ١٣٤] .

ويقول الله في حديثه القدسي : ﴿عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أحققك فيمن أحقق﴾ .

إنها القمة في ضبط النفس وسماحة القلب تليق مع أمة مكلفة من ربها جاءت لتكون خير أمة أخرجت للناس ، تنشر الأمن والعدل حتى مع الغضب والكره فأى أمن أعظم من أن يأمن الإنسان شر من يركبه ؟

٦ — تجنيد النفس في وجه ذاتها وفي وجه عواطفها :

لما كانت النفس أمانة بالسوء إلا من رحم ربي لذا كان هناك الكثير من التوجيهات الإلهية لحماية تلك النفس من الذهاب حسرات في الدنيا والآخرة . من تلك التوجيهات :

﴿ لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ [النساء: ٣٢] .

إنه نهي عام عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض سواء أى نوع من أنواع التفضيل في الوظيفة والمكانة وفي الاستعدادات والمواهب وفي المال والمتاع . لأن هذا فيه إضاعة النفس في التطلع والحسد وما يصاحبه من حقد وحق وشعور بالضيق والحرمان والتهاوى والتهاقت أمام هذا الشعور مما يذهب بطمأنينة النفس ويورث القلق والتكد ولذلك كان النهي في صالح المؤمن لتحقيق الأمن له . فعليه أن يتوجه إلى مصدر الإنعام والعطاء موثلاً بالطمأنينة والرجاء ومبعث الايجابية في تلمس الأسباب إلى الله الخالق الرازق . ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ [النساء : ١٣٥] .

إنه تجنيد للنفس المؤمنة في مواجهة عواطفها لإقامة العدل حتى ولو كان هذا ضد أقرب الناس إلى تلك النفس ولكنه المنهج الإسلامى لإرساء دعائم العدل والحق لأنها الأساس في إشاعة الأمن والطمأنينة في المجتمعات بأسرها .

٧ — المحاولة الدائمة لتوثيق علاقات المودة والقرى :

إن توثيق تلك العلاقات بين الناس نابع من أهمية ترابط أفراد المجتمع بحيث يصبحون جميعاً كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى كما قال الصادق المعصوم وقد سئل أى العمل خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

هذا فى إفشاء السلام ابتداء وهو سنة أما الرد عليه فهو فريضة بقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شئ حسيباً ﴾ [النساء : ٨٦] .

□ إن المجتمع الإسلامى بنى على السلام والأمن والحب وصلة الرحم . قال ﷺ : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويعطف على صغيرنا » . وقال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وقال أيضاً : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

□ إنه مجتمع قام منهجه على الإحسان للوالدين ولذى القرى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القرى ﴾ [النمل : ٩٠] .

□ وبنى منهجه على الإحسان للجار . قال ﷺ : « ظل جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثنى » .

□ والإحسان إلى اليتيم ورعايته : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

□ والإحسان فى الميزان : ﴿ ووزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير

وأحسن تأويلاً ﴿ [الإسراء : ٣٥] .

□ والإحسان فى القول : ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

□ والإحسان فى الرد على الإساءة : ﴿ ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾ [المؤمنون : ٩٦] .

□ والإحسان فى أداء الحقوق لأصحابها : ﴿ فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

فأى أمن بعد ذلك لنفوس تهذب بتلك التعاليم الربانية ؟ وأى أمن لمجتمع تشربت نفوس أفرادها تلك النفحات الإلهية ؟ وأى منفذ تركه الخير الحكيم لأطباء علم النفس كى يلجوا منه لمعالجة ما لم يعالجه الرحمن الرحيم ؟ إنها تلك النفوس المطمئنة التى استجابت لله والرسول فكان عاقبة أمرها رشداً ورجعت إلى ربها راضية مرضية : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾ [الفجر : ٢٧ — ٣٠] .

ثالثاً — تحقيق الأمن للعقل :

جاء الإسلام فى ختام الرسالات السماوية ليعد البشرية للرشد العقلى ويؤهلها لاستخدام أعظم نعمة وهبها الله للإنسان وهى العقل استخداماً كاملاً فى ادراك الحق الذى تنبث آياته فى صفحات الوجود وفى أسرار الكون الذى جاء القرآن لكشفه وتجليته .. ولذلك فقد اهتم المنهج الربانى بتكريم العقل الإنسانى لأنه أداة الإدراك البشرى ووسيلته فى تلقى الوحي الإلهى وإدراك مدلولاته وكان أعظم تكريم لذلك العقل هو تحقيق الأمن له

حتى لا يتخبط تحت ضغط النزعات والشهوات والأهواء ويتيه في خضم الحياة وحتى لا يكون لله على الناس حجة بعد ذلك كما أنبأنا بذلك في دستوره الحكيم . ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [النساء : ١٦٥] .

وقد شمل هذا المنهج الرباني لتحقيق الأمن للعقل عدة نقاط نعرضها فيما يلي :

١ — حماية العقل بالوحي الإلهي :

إن الله العظيم الرحيم الحكيم لا يدع هذا الكائن الإنساني وحده فهو الذى خلقه وهو يعلم سره وجهره وطاقاته وقواه ونقصه وضعفه وحاجته إلى الموازين القسط التى يرجع إليها بتصوراته وأفكاره وأقواله وأعماله وأوضاعه ونظامه ليرى إن كانت صواباً وصالحاً أو كانت خطأ وفساداً .

ويعلم سبحانه وتعالى أن العقل الذى أعطاه له يتعرض لضغوط كثيرة من شهواته ونزواته ومطامعه ورغباته فضلاً على أنه موكل بطاقات الأرض التى له عليها سلطان بسبب تسخيرها له من الله وليس موكلاً بتصور الوجود تصوراً مطلقاً ولا بصياغة الأسس الثابتة للحياة .

فهذا مجال العقيدة التى تأتى له من الله فتنشئ له تصوراً سليماً للوجود والحياة .. ومن ثم وحماية لهذا العقل وردة إلى صحته وسلامته فإن الله يكل الناس إلى وحيه ورسله وهداه وكتبه وهذا هو الذى يليق بكرم الله وفضله ورحمته وعدله . فما كان ليخلق البشر ثم يتركهم سدى ، ثم يحاسبهم يوم القيامة ولم يعث فيهم رسولا : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء : ١٥] . فتقدير الله حق قدره يقتضى الاعتقاد بأنه أرسل إلى

عباده رسلا يستنقذون فطرهم من الركام ويساعدون عقولهم على الخلاص من الضغوط والانطلاق للنظر الخالص والتدبر العميق وأنه أوحى إلى هؤلاء الرسل منهج الدعوة إلى الله وأنزل على بعضهم كتباً تبقى بعدهم في قومهم إلى حين — ككتب موسى وداود وعيسى أو تبقى إلى آخر الزمان كالقرآن العظيم الذي جاء به محمد ﷺ رحمة للعالمين .

وهكذا فإن الله قد جعل حجته على الناس هي الوحي والرسالة ولم يجعل هذه الحجة هي عقلهم البشري ولا حتى فطرهم التي فطرهم الله عليها من معرفة ربها الواحد والإيمان به ، لأن الله سبحانه يعلم أن العقل وحده يضل وأن الفطرة وحدها تنحرف وأن لا عاصم لعقل ولا لفطرة إلا أن يكون الوحي هو الرائد المهادي وهو النور والبصيرة والواقع يشهد أن الحياة الإنسانية التي قامت أنظمتها على المذاهب الفلسفية أو العلم هي أبأس حياة يشقى فيها الإنسان مهما فتحت عليه أبواب كل شيء ومهما تضاعف الانتاج والايثار ومهما تيسرت أسباب الحياة ووسائل الراحة فيها على أوسع نطاق ومن هنا كان الوحي حماية للعقل وأماناً له بدل التيه في الفلسفات المادية : ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ [الإنفطار : ٧] .

﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم﴾ [آل عمران : ١٦٢] .

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

٢ — تحريم المسكرات التي تذهب بالعقل :

حرص الإسلام حرصاً بالغاً على الحفاظ على العقل لأن الإنسان عليه تكاليف وأعباء جسام يحتاج فيها إلى طاقاته العقلية في كل لحظة من الحياة ،

وإنه لمن الخسارة بمكان أن تذهب هذه الطاقات العقلية في غير صالح الإنسان وفي غير صالح المجتمع المسلم . ومن هنا كان تحريم الإسلام للمسكرات بجميع أنواعها سواء كانت الخمر أو المخدرات أو أى نوع من أنواع العقاقير التى تؤثر على خلايا المخ وتؤدى إلى الهلوسة . فمن العبث أن يبدد الإنسان أغلى ما يملكه في سبيل ارضاء شهوات ونوازع مؤقتة تعرضه للضلال والانحراف وسوء الرؤية وسوء التقدير مما قد يزلزل حياته وحياة أسرته ثم حياة المجتمع بأسره . فضياع العقل بدون شك يسبب حوادث تفقد المجتمعات لذة الأمن وحلاوته . قال تعالى في كتابه الكريم محرماً الخمر على عباده المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠] .

ثم بين جل شأنه حكمة هذا التحريم بأنها السبيل إلى وقوع العداوة والبغضاء والتشاحن بين الناس وأنها تمنع عن ذكر الله وإقامة الصلاة فقال سبحانه وتعالى : « إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » [المائدة : ٩١] .

وإذا عرفنا كما سبق أن ذكر الله يشمل كل عمل يقوم به المسلم وقلبه متصل بالحق لتبين لنا مدى الخسارة التى تتحقق من المسكرات لأنها تحرم المجتمع من ثمار عقل واع اتصل بقلب مطمئن بالحق فأتتج روائع العقل البشرى ، هذا فضلاً عما تشيعه المسكرات من بقية المساوئ الأخرى التى تشيع القلق فى المجتمعات البشرية وتحرمها من الأمن والطمأنينة .

٣ — دعوة العقل إلى جولة فى الآفاق :

إن هذه الدعوة فى حد ذاتها هى تحرير للعقل من القيود التى تكبله

وتجعلهُ يتعمر تحت ضغط الحاجات والمطالب حيث إنه بتجوله في الآفاق سيشعر بعظمة الخالق وقوته فيستمد منه مدداً وقوة لينهض بالأعباء التكليفية التي خلق من أجلها ، كما أن هذه الجولة ستوقظه من سبات الغفلة وتفتح ما فيه من أذن واعية ومن طاقة فكرية : ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ [الحج : ٤٦]
﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة : ١٦٤] .

إن هذه الدعوة بلا شك موعظة وعبرة من كل الوجوه :

□ فهي تشبع في العقل البشري حبه إلى المعرفة والإذعان أمام القوى المادية ، ولهذا وجه المنهج الرباني الإدراك البشري لملاحظة بدائع الصنعة الإلهية في الوجود كله وهي في ذاتها خوارق معجزة ولكنها خوارق دائمة يقوم عليها كيان الوجود ويتألف منها قوامه : ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم﴾ [الإسراء : ٩٩] .

﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ [مريم : ٩] .

﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾ [الأعراف : ١٨٥]
﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ [ق : ٦، ٧] .

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾
[الغاشية : ١٧ — ٢٠] .

□ وهذه الدعوة فيها شحذ للعزائم فيعرف الإنسان أن حل مشاكله ليس بالتراخي وندب الحظ إنما بالعمل والتفكير والإرادة :

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾
[العنكبوت: ٢٠].

﴿ خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾
[الأنبياء : ٣٧] .

﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

□ إن هذه الدعوة فيها تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾
[الروم : ٤١] .

﴿ وإنكم تمروم عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ﴾
[الصافات : ١٣٨] .

٤ — مخاطبة العقل بما هو أهل له :

لا يوجد منهج يكرم العقل الإنساني مثلما يكرمه الإسلام ولا يوجد دين يشبع التطلعات العقلية ويوجب على تساؤلها مثلما يوجب الإسلام ولا عجب فإنه خاتم الأديان المتطورة إلى آخر الزمان والأجيال .

وقد نطق بهذه الحقيقة أعرابي على فطرة الله لم يتلون بأجهزة التوجيه والتأثير من شياطين الجن والإنس عمدا سألته الناس : لم آمنت بمحمد ؟

فقال : لأن دينه لم يأمر بشيء وقال العقل ليته ما أمر . وما نهى دينه عن شيء وقال العقل ليته ما نهى . ولذلك فقد قام القرآن أساساً على مخاطبة العقول البشرية لتدرك الحقيقة الأولى وهى أن هذا الدين من عند الله .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء: ٨٢] .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد: ٢٤] .

﴿ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ﴾

[المؤمنون : ٦٨] .

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾

[ص: ٢٩] .

وقام القرآن ثانياً على وجود أحكام أساسية الحكم فيها لله وذلك حماية للعقل لأنه لا يدرك إلا إدراكاً ناقصاً فى المدى المحدود ويستحيل أن ينظر من جميع الزوايا وإلى جميع المصالح لا فى اللحظة الواحدة ولا فى التاريخ كله بينما شريعة الله تنظر هذه النظرة فلا ينبغي أن يكون الحكم فيها أو فى حكم ثابت قطعى من أحكامها موكولاً إلى الإدراك البشرى قال تعالى :

﴿ إن الحكم إلا لله يقضى الحق وهو خير الفاصلين ﴾ [الأنعام: ٥٧] .

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾

[المائدة : ٥٠] .

﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ [الأنعام : ٦٢] .

﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ﴾ [الرعد : ٣٧] .

وقام القرآن ثالثاً على فتح المجال للعقول البشرية فيما لا نص فيه مما يجد من الأقضية فى حدودها أمر به الله ورسوله ، وهذا هو مجال الاجتهاد .

الحقيقى بالقدر الذى أراده الله له من التكريم فى مجاله الذى يحسنه وهو معرفة نواميس الكون والإبداع فى عالم المادة وهو ملك عريض . وقد اقتضى هذا الأمر تربية طويلة وتوجيهاً كبيراً حتى يألف الإدراك البشرى هذا اللون من النقلة وهذا المدى من الرق وحتى يتجه الإنسان إلى قراءة سفر الوجود بإدراكه البشرى فى ظل التوجيه الربانى والضبط القرآنى والتربية النبوية . قراءة هذا السفر قراءة غيبية واقعية إيجابية فى آن واحد وبذلك ينقل البشرية إلى عهد الرشد العقلى الذى يتلاءم مع تطور الأجيال .

﴿ قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض ﴾ [يونس : ١٠١] .

﴿ فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق ﴾ [الطارق : ٦٠٥] .

﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه . إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾

[الأنعام : ٩٩] .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾

[التوبة : ١٠٥] .

إن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان بحق خير من بلغ الرسالة وأدى الأمانة حيث كان فى كل خطوة من خطواته سلوكاً تطبيقياً للمنهج الربانى فاستنهض المهمم ووضع العقل البشرى فى مكانته اللاتقة به فكان يستشير أصحابه فى كل الأمور التى لم ينزل بها وحى وفتح مجال الاجتهاد على مصراعيه حيث قال إنه للمجتهد إذا أصاب أجران وإذا أخطأ أجر .. فأى تقدير للعقل أعظم من هذا الأمن : فهناك كتاب الله وسنة رسوله الكريم وسنة الخلفاء الراشدين ، لا يمكن أن يضل عقل أبدا استضاء بنورهم وسار فى هديهم واجتهد ما وسعه الجهد تحت ظلهم . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ [طه : ١٢٣] .

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾
[لقمان : ٦] .

﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم﴾
[الأنعام : ١٤٤] .

حقاً إن هدى الله هو الأمان للعقل وهو نور للفؤاد وماذا بعد الهدى إلا
الضلال ١١٩

رابعاً — تحقيق الأمن للعرض :

إن الإسلام عندما حدد منهجه في الحفاظ على العرض كان هدفه هداية
الناس وحمايتهم من عوامل القلق من الانجراف في الهاوية وإعانتهم على
التسامي في المرتقى الصاعد إلى السماوات العلى . ولذلك فقد اهتم اهتماماً
بالغاً بميدان الحفاظ على الأسرة وتطهير المجتمع وتحديد الصورة النظيفة
الوحيدة التي يحب الله أن يلتقى عليها الرجال والنساء وتحريم ما عداها من
الصور وتبشيعها وتقبيحها في القلوب والعيون لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد .

قال تعالى موضعاً نعمته الكبرى ومته العظمى علينا : ﴿ومن آياته أن
خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم : ٢١] .

وقال جل شأنه : ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم
من أزواجكم بنين وحفدة﴾ [النحل : ٧٢] .

إنها القاعدة الأولى في نظام المجتمع الإسلامى هي الأسرة : جعلها
الإسلام وحدة المجتمع وأصدر من القوانين والتشريعات الإلهية ما يحقق
صيانة هذه الأسرة من كل شائبة ومن كل اختلاط في الأنساب ينشأ من

شيوخية الإتصال الجنسي أو ينشأ من انتشار الفاحشة وتلوث المجتمع بها ومن أهم تلك القوانين فرض عقوبات صارمة على الزاني والزانية : فإن لم يكونا متزوجين : قال تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [النور ٢] .

وإن كانا متزوجين : ما ورد في الحديث الشريف : « كان مما يتلى الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجهما البتة نكالا من الله » .

إن الأسرة القائمة على الزواج العلني الذي تخصص فيه امرأة بعينها لرجل بعينه ويم به الإحصان وهو الحفظ والصيانة هي أكمل نظام يتفق مع فطرة الإنسان وحاجاته الحقيقية الناشئة من كونه إنساناً لحياته غاية أكبر من غاية الحياة الحيوانية وإن كانت تتضمن هذه الغاية في ثناياها ويحقق أهداف المجتمع الإنساني كما يضمن لهذا المجتمع الأمان المطلق : أمن الضمير وأمن البيت وأمن المجتمع في نهاية المطاف .

والملاحظ بصفة ظاهرة أن الطفل الإنساني يحتاج إلى فترة رعاية أطول من الفترة التي يحتاج إليها طفل أى حيوان آخر . كما أن التربية التي يحتاج إليها ليصبح قادراً على إدراك مقتضيات الحياة الإنسانية الاجتماعية تمتد إلى فترة طويلة أخرى . لذلك فإن غاية الميل الجنسي في الإنسان لا تنتهى عند تحقيق الإتصال الجنسي والتناسل مثل الحيوان بل تمتد إلى هدف أبعد هو الارتباط بين الرجل والمرأة ليم إعداد الطفل الإنساني بحمايته وحفظ حياته وتزويده برصيد من التجارب الإنسانية والمعرفة الإنسانية مما يؤهله للمساهمة في حياة المجتمع الإنساني والمشاركة في رقيه .

ومن ثم أصبحت اللذة الجنسية مجرد وسيلة ركبها الفطرة فيها ليم الإلتقاء بينهما وبالتالي فإن تخصيص امرأة لرجل بالزواج هو الوضع الصحيح حتى لا يصبح الهوى الشخصي هو الحكم في بقاء الارتباط بين الذكر

والأنثى . إنما الحكم هو الواجب في رعاية النسل الضعيف الذى يجيء ثمرة للالتقاء بينهما . وهكذا نجد الإسلام اهتم غاية الاهتمام بالحفاظ على هذه العلاقة بين الرجل والمرأة وكفلها بسياج منيع وجعلها مكفولة بحدود وشرائع لا يحق لمسلم يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يقترب منها فضلاً عن تخطيها .

قال تعالى : ﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك بين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

قال ﷺ : « إن لكل ملك حى وحى الله محارمه » وقال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

« لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الأوجاع التى لم تكن في أسلافهم » .

« ما شاع الربا والزنا فى قرية إلا أحلت بنفسها غضب الله » .
« إن الله عز وجل يغار وغيرة الله أن يأق المؤمن ما حرم الله عليه » .
« إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً ، على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو فوقه : « والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » والأبواب التى على كنفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوق واعظ ربه عز وجل .

أما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل قيد : دينى أو أخلاقى أو اجتماعى فهذا معناه انطلاق السعار الجنسى المحموم بلا حاجز ولا كايح فلا يقر معه قلب ولا يسكن معه عصب ولا يطمئن معه بيت ولا يسلم معه عرض ولا تقوم معه أسرة .. وهو يمثل مشقة وجهد

وقلق في حياة المجتمعات ومعناه تحطيم قواعد المجتمع الإنساني كله وإشاعة القلق والاضطراب بحرمان الأطفال من جو الأسرة الهادئ المطمئن الآمن من عواصف الشهوات الجامحة والثروات المتقلبة والهوى الداهب مع الريح وهذا الهدوء ضروري جداً للنهوض بأمانة الجنس البشري كله وهو شيء آخر غير مجرد التناسل الحيواني وغير مجرد الالتقاء الشهواني على أساس العواطف وحدها . إنه العلاقة المقدسة القائمة على الواجب الإيماني الذي يحقق الأمن والطمأنينة .

إن حماية الإسلام للعرض هو حماية لعرض كل المؤمنين من العدوان عليه : قال جل شأنه محذراً من هذا الانتهاك : ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾ [الشعراء: ٦٦] . ولتعرف عظمة الوصف الإلهي بأن ترك ما أحل من الأزواج إلى غير ما أحل بأنه عدوان يشمل المجتمع بأسره يمكن النظر إلى حياة المجتمعات التي تحررت من قيود الدين والأخلاق والحياء في هذه العلاقة .

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي حطم الحضارات القديمة : حطم الحضارة الإغريقية وحطم الحضارة الرومانية وحطم الحضارة الفارسية وهذه الفوضى ذاتها هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة فيما يلي :

— في الأدب الفاحش الخليع الذي يدعو إلى انهيار المثل والمبادئ .
— في الأفلام السينمائية التي تركز في الناس عواطف الحب الشهواني المدمرة.

— في المخطاات المستوى الخلفي في عامة النساء الذي يظهر في عرين وفي اكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام .

— انتشار موجة الإجرام بين المراهقين والمراهقات والادمان على المخدرات وجرائم الإعتداء على النساء والفتيات الصغيرات وانتشار الأمراض السرية الفتاكة .

— انتشار الاضطرابات العصبية وضعف القوى العقلية وهو من أكثر العناصر في جلب التعاسة للأفراد وتحطيم الأسر وهو أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية التي قصر علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن .

— وجد أن الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكرية لأعدائهم لا لأنهم في حاجة إلى المال ولكن لأن بهم شذوذاً جنسياً ناشتاً من آثار الفوضى الجنسية السائدة في المجتمع .

— هناك مكاتب مهمتها البحث عن الزوجات المهربات والبحث عن الأزواج المهربين وذلك في مجتمع لا يدري فيه الزوج إن كان سيعود فيجد زوجته في الدار أم يجدها قد طارت مع عشيق ولا تدري الزوجة إن كان زوجها الذي خرج في الصباح سيعود إليها أم ستخطفه أخرى أجمل منها وأشد جاذبية !!

مجتمع تعيش فيه البيوت في مثل هذا القلق كفيل بأن يحطم كل سعادة مادية يحصل عليها المرء .

— هناك انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين وارتفاع مستمر في نسبة عدد المواليد غير الشرعيين وهكذا تزيد نسبة الحياة القلقة الشريفة التي يعيشها هؤلاء الأطفال مما ينعكس على المجتمع بأسره .

— إن سهولة تلبية الميل الجنسي وفوضى العلاقات الجنسية والتخلص من الأجنة والمواليد لا تدع مجالاً لتكوين الأسرة ولا لاستقرارها مما يؤدي إلى الاتجاه نحو انقراض النسل .

- هذا مآله زوال الحضارة والاجتماع والفناء آخر الأمر .
- صدقت يارب العزة يا من قلت وقولك الحق :
- ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ [الأنعام : ١٥١] .
- ثم خصصت الزنى بمزيد من التخصيص ومزيد من النهي فقلت :
- ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] .
- وقال رسولك الكريم صلوات الله وسلامه عليه :
- ﴿ لا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يزنى الزانى وهو مؤمن . الإيمان أكرم على الله من ذلك ﴾ .
- ﴿ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴾ .
- ﴿ إن الزناة تشتعل وجوههم ناراً ﴾ .
- ﴿ الزنا يورث الفقر ﴾ .
- ﴿ تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد : هل من داع فيستجاب له ؟ هل من سائل فيعطى ؟ هل من مكروب فيفرج عنه ؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشاراً .
- وعن عبدالله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى برجل قد شرب فقال : يا أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله . فمن أصاب من هذه القاذورة شيئاً فليستر بستر الله فإن من يُدِلنا صفحته نقم عليه كتاب الله وقرأ رسول الله ﷺ : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ . وقال : قرن الزنا مع الشرك . وقال : ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن .

وهكذا فإن الذين يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة في علاقات الجنسین أمر شاق ومجهد يعيشون في وهم كبير فاطلاق الشهوات من كل قيد وتحرق اللذة في كل تصرف والتجرد في علاقات الجنسین من كل قيد أخلاقی ومن كل التزام اجتماعی . هذا كله يبدو يسرا وراحة وانطلاقاً ولكنه في حقيقته مشقة وجهد . ونتائجها في حياة المجتمع بل في حياة كل فرد هو القلق وفقدان الأمن والانبیاء في النهاية .

وإنه لمفخرة للإسلام ذلك المنهج الذي وضعه الحكيم الخبير في المحافظة على العرض وتحقيق كل دواعی الأمان له لأنه علامة مضيئة وحجر راسخ في حياة المجتمعات الإسلامية يجعلها تعيش آمنة مطمئنة في كنف الإسلام الذي جاء من رب رحيم على يد رسول الرحمة الذي أعلنها بكل يقين الإيمان وبكل نقاء الرسالة وصفاتها وأمنها كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .

خامساً — تحقيق الأمن للمال :

إن المال هو عصب الحياة وقوام حياتها وعليه يتوقف تقدم المجتمعات ونهضتها ورخائها وعليه أيضاً يتوقف أمن تلك المجتمعات وطمأنيتها إذا آمنت بالطريقة المثلى لتداول المال بين الأفراد .

ولأهمية المال القصوى في ادارة عجلة الحياة فإن المنهج الإسلامی اهتم اهتماماً بالغاً بكل منفذ وبكل طريقة يعم بها تداول المال سواء في الاستهلاك أو الإدخار أو الاستثمار أو كيفية توزيع الدخول . ليس هذا فقط بل أنه اهتم بالمال بعد وفاة المسلم عن طريق قوانين الميراث واهتم بالمحرومين من المال ففرض لهم الزكاة كركن أساسي من أركان الإسلام الخمسة وأضاف لهم الصدقات في حدود الثلث مما أفاض الله به على خلقه ووسع عليهم في رزقهم .

هناك قاعدة أساسية في التشريع الإسلامى يتفرع عنها مواد فرعية كثيرة كلها تهدف إلى تحقيق الأمن للمال . هذه القاعدة مكتوب على بابها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] .

إنه نهى عام عن كل طريقة يعم بها تداول الأموال لم يأذن بها الله أو نهى عنها ومنها السرقة والغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات لاغلائها وجميع أنواع البيوع المحرمة والربا في مقدمتها . وعقب ذلك النهى بما يوحى بالآثار المدمرة التى ينشئها أكل الأموال بالباطل في حياة الجماعة إنها عملية قتل للمجتمعات حيث يباع فيها ما ليس يباع كالعرض والذمة والضمير والخلق والدين . فما هى الخطوات التفصيلية التى انتهجها الإسلام لتحقيق الأمن للمال ؟

١ — تشديد عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية والاعتداء على أمن الجماعة :

إن المجتمع المسلم يوفر للناس على اختلاف عقائدهم ما يدفع خطر السرقة عن كل نفس سوية . إنه يوفر لهم ضمانات العيش والكفاية و ضمانات التربية والتقويم و ضمانات للعدالة في التوزيع . وفي الوقت ذاته يجعل كل ملكية فردية فيه تنبث من حلال ويجعل الملكية الفردية وظيفية اجتماعية تنفع المجتمع ولا تؤذيه . ومن أجل هذا كله فمن حقه إذن أن يشدد في عقوبة السرقة قال تعالى : وهو أحكم الحاكمين : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٣٨ — ٣٩] .

إن قطع اليد تنكيل من الله رادع لكل من تحدّثه نفسه بالسرقة وهو رحمة بالجماعة كلها لأنه يوفر لها الطمأنينة والأمن .

٢ — تحريم الاكتناز :

إن اكتناز الأموال وحبسها عن التداول هو تعطيل لوظائفها الأساسية وحرمان المجتمع المسلم من الخير الذي سيعود عليه باستثمار تلك الأموال ومواجهة مطالبه واحتياجاته الأساسية وتحقيق الأمن لحياة الفقراء بعيداً عن شظف العيش . قال تعالى في كتابه الكريم محذراً أشد التحذير لكل من تسول له نفسه اكتناز النقود وحبسها عن الاستثمار في الأغراض التي حددها الله لنا لتحقيق الرفاهية والتقدم للمجتمع المسلم : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم يوم يجمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة: ٣٤—٣٥] .

ويضرب لنا الله في القرآن الكريم أمثلة لقوم كنزوا المال فعوقبوا بالدمار فهاهو ذا قارون يؤقى من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة وبأمره قومه بالإحسان كما أحسن إليه فيقول : ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ [القصص : ٧٨] .

فيكون المآل ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ [القصص : ٨١] .
وها هو ذا ثعلبة يعاهد الله إن أتاه مآلاً ليصدقن وليكونن من الصالحين فيؤقى المال ويخل به ويكنزه فتكون العاقبة : ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾ [التوبة: ٧٧] .

٣ — تحريم الربا :

إن تحريم الربا من أعظم الإجراءات في المنهج الإسلامى لتحقيق الأمن للمال . فالربا هو توجيه المال أى وجهة الهدف منها زيادة الربح بصرف النظر عن نوعية الاستثمار الموجه إليه هذا المال حتى ولو كان فى أحد المشروعات المثيرة للغرائز والمخاطمة للكيان الإنسانى . إن هذا الاستثمار وإن كان فى ظاهره يحقق عائداً مجزياً إلا أنه فى باطنه يحقق عائداً سلبياً ليس على المجتمع ككل فقط وإنما على المستثمر نفسه . لأن الربا يثقل الصناعة بالفوائد الربوية التى تضاف إلى أصل التكاليف ويثقل التجارة والمستهلك بأداء هذه الفوائد التى يفرضها على الصناعة وهذا يؤدى إلى ارتفاع الأسعار مما يؤدى إلى ارتفاع تكلفة عوامل الإنتاج على المدى الطويل مما يسبب خسارة المستثمر أو انخفاض نسبة ربحه فإذا أراد ارتفاع تلك النسبة فإنه سيضطر إلى رفع سلعته وهكذا يدخل المجتمع فيما يسمى بالتضخم الحلزوني وهو ما يجر أoxم العواقب التى يعرفها الاقتصاديون جيداً ويلمسها رجل الشارع فى ذلك الارتفاع الرهيب فى الأسعار وعدم مقدرته على الوفاء باحتياجاته الأساسية بنفس الدخل الذى كان يحصل عليه فيما مضى . وهذا يؤدى إلى انتشار الفقر وزيادة وطأة أعباء الحياة على الناس وهو ما يرفضه الإسلام أساساً لأنه دين العزة والقوة والرخاء . قال تعالى فى محكم كتابه الكريم لينهى الناس عن التعامل بالربا لأثاره الضارة على تداول الأموال :

﴿ وما آتيتم من ربا ليروبوا فى أموال الناس فلا يروبوا عند الله ﴾

[الروم : ٣٩] .

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يحق الله الربا ويرى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴿ [البقرة: ٢٧٥ — ٢٧٦] .
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

٤ — تحريم الإحتكار :

حرم الإسلام تحريماً قاطعاً تخزين كميات كبيرة من الناتج تؤدي إلى نقص المعروض منه في السوق أو اختفائه فلا يجد المسلم حاجته الضرورية إلا بأسعار مرتفعة وهذا يشكل عناءاً كبيراً على ذوي الدخل المحدود ويتنافى أساساً مع العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي الذي بنى عليها الإسلام دعائمه .

إن الإحتكار معناه تحكم القلة في الأغلبية .. معناه قلق الناس وخوفهم الدائم من ارتفاع الأسعار بحيث لا يقدرون على مواصلة مسيرتهم في الحياة . معناه استغلال حاجة المسلمين لتحقيق أرباح طائلة وهو ما يرفضه الإسلام مضموناً ومعنى ونهجاً في الحياة لمن رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً .

قال تعالى في بيانه عقوبة المحتكر الذي يسبب بتصرفه هذا تضخماً اقتصادياً يجر الولايات على المجتمع بأسره ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلال أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم ﴾ [المائدة: ٣٣] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه تأكيداً لذلك المنهج الرباني :
« من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يقرعه بعظم من النار يوم القيامة » .

- « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » .
- « من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .
- « يئس العبد المحتكر إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح » .

فأى أمن يشعر به الإنسان على ماله واحتياجاته وهو يعيش في مجتمع تظلمه تلك القوانين السامية حيث ترتقى بالبشرية إلى قمم سامقة ؟

٥ — الإهتمام بتوثيق الدين :

لما كان الإسلام دين الحياة فهو يراعى تلك الضرورة التي تلجأ الناس إلى الدين فنظمها أروع تنظيم بالمحافظة على حق الدائن والمدين حماية لحقوق كل منهما في تبادل الأموال . فجعل آية الدين أطول آية في القرآن الكريم وأمر فيها بكتابته كما أباح الرهن لتوثيق الدين . قال تعالى في دستوره الحكيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ . وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دَعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَاشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقُوكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ [البقرة : ٢٨٣] .

﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾ [البقرة: ٢٨٣] .

أى من وأى روعة أعظم من ذلك التنظيم البديع للدين ؟ فلا هضم للحقوق ولا ضياع للأموال بل إحكام وأمان، من لدن حكيم خبير .

٦- الحفاظ على مال الضعيف :

إن تداول المال في المجتمع يستلزم خبرة ودراية عظيمتين وكثر المال ممنوع في الإسلام إذن ما هو الحل بالنسبة لمن عنده مال ولكنه ضعيف عن استثمار هذا المال مثل اليتيم والسفيه . هنا يتدخل الشرع ليحكم حكمه العادل :

— بالنسبة لليتيم فعلى ولي أمره أن يستثمر ماله بالحكمة بما يعود على اليتيم بالنفع وليحذر من تسول له نفسه بأن يستحل شيئاً من هذه الأموال . قال تعالى :

﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا ﴾ [النساء : ١٠] .

— حتى إذا بلغ اليتيم رشده وأصبح قادراً على استثمار أمواله بنفسه وجدها قد نمت وربت مع الزمن فيستطيع ولي الأمر حينئذ أن يطمئن باله ويرتاح من المهمة التي كلفه الله بها وألقاها على عاتقه فقام بها خير قيام عملاً بقول الله عز وجل : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً ﴾ [النساء: ٢] .

﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً

فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً ﴿ [النساء: ٦] .

— بالنسبة للسفيه فليس من الحكمة ترك المال بين يديه يعثره كيفما يترأى له خياله المريض مما ينعكس آثاره السيئة على المجتمع الإسلامى ككل ولذا كان حكم الله سبحانه جل شأنه بأن يكون هناك من يتولى أمر السفيه ويحرص على ماله لأن المال قوام الحياة وله الدور الإيجابى فى إدارة عجلتها قال تعالى : ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ [النساء: ٥] .

٧ — تحريم الغش والرشوة :

إن الغش والرشوة وسيلتان للحصول على حقوق بدون وجه حق وهما وبال على المجتمع عندما يصاب بداء التراخى وحسب الكسب السريع .
إنهما يؤديان إلى أسوأ تداول للمال يعود بأوخم العواقب على الاقتصاد القومى كله . ولهذا كان هناك من القوانين الإلهية ما يردع تلك الأمراض الفتاكة التى يمكن أن تصيب النفوس البشرية وتحرم المال من أمن التداول فيما خلق الله له .

قال تعالى فى كتابه الكريم بشأن تحريم الرشوة : ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ١٨٨] .

وقال ﷺ :

« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فى أفناه ؟ وعن شبابه فى أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ » لعن الله الرشوة والرائش والمرتشى .

أما بشأن الغش الذى يؤدى إلى الحصول على أموال بطرق غير مشروعة فإنه يخس لحقوق الناس وفساد فى الأرض ما بعده فساد له عقوبة تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف لأنه سمع قول الحق تبارك وتعالى ولم يستجب له : ﴿ يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ [هود : ٨٥] .

ولأنه خرج من تبعية أمة محمد الرسول الأمين الذى قال صلوات ربي وسلامه عليه « من غش أمتى فليس منى » .

إن ما عرضناه من مقتطفات عن كيفية تحقيق المنهج الإسلامى الأمن للمال يعتبر قطرة من محيط لأن ذلك المنهج عظيم كل العظمة عميق كل العمق فأنى لقلم أن يوفى ذلك المنهج حقه ويكفيها أن نردد قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [لقمان: ٢٧] .

نعمة الأمن :

ما أجمل نعمة الأمن النابع من الإيمان . قال الخليل ابراهيم لقومه كما ورد فى القرآن الكريم : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ﴾ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .

وإذا سئلت عن الإسلام فقل إنه الأمان الشامل فى العرض والمال والنفس والعقل وما أصدق قول الله جل شأنه فى حديثه القدسى : ﴿ يا ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطفئك . لا بقليل تقنع ولا من كثير

تشيع إذا كنت معافى في بدنك آمناً في سربك عندك قوت يومك فقد
حيزت لك الدنيا بخذافيرها ﴿ .

لقد ضمن الإسلام الأمن للإنسان أيا كان موقعه :

آمنه على عقيدته :

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ .
﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين ﴾ .

آمنه على نفسه :

﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه
ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ .

« الآدمي بنيان الرب ملعون من هدمه » . كما قال الرسول صلوات ربي
وسلامه عليه وقال أيضاً ﷺ : « من أعان على قتل مسلم ولو بشطر
كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله » .

آمنه على عقله :

فحرم من الأشربة ما يودي بهذا العقل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا
الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ . ﴿ يا أيها الذين آمنوا
إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون » . إنما يزيد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في
الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون ﴾ وما
أجل قوله تعالى : ﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ .

روت أم سلمة رضى الله عنها قال : نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر . والمفتر هنا كل ما يضعف الصحة . فالقاعدة الأساسية في الإسلام « لا ضرر ولا ضرار » .

آمنه على عرضه :

﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ... ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ .
قال رسول الله ﷺ : « قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة » .

آمنه على مال :

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ .. ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ .

قال ﷺ : « لا يحال مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه » . وقال أيضاً : « ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام » .. « نعم المال الصالح لل عبد الصالح » .

والقول الفصل ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين ﴾ وقوله جل شأنه : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ والاعتداء هو تجاوز الحد الذى بينه الله عز وجل في قوله : ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وسواء كان الإعتداء على النفس أو على العقل أو على العرض أو على المال

أو على العقيدة بالإكراه : ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ﴾ فإن
لله تعالى واجبات يجب على المسلم أن يقف عندها موقف العناية والصيانة
والرعاية . فقد فرض تعالى فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها
وحرم حرمة فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان
فلا تسألوا عنها .

وهنا يشعر المسلم بالأمن والأمان والطمأنينة ويخلق في السموات العلى
بعقيدة المؤمن الواثق بربه الرحمن الرحيم والمتبع لهدى رسوله المبعوث رحمة
للعالمين وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .



المبحث الثاني

الإنسان بين النفس والمال

الغنى في القناعة :

صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ .

عندما نطالع آيات الله ونصافح كلماته في كتابه ونتعبد بتلاوته نطالع دروساً ونفوساً . نعم : ما أجمل القرآن إذا عرض الدروس على النفوس واستخلص العواقب واستنتج العبر إنه الكلام الوحيد الذي نلتبس فيه الحكمة البالغة والعبرة النافذة التي لا نجد لها تفسيراً أعظم من كلام رسول الله ﷺ فاستمع إليه وهو يقول في هذا المجال : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » وأما في هذا المجال ستة مواقف في القرآن الكريم تبين منها عبرة الحياة ونستخلص فيها نتائج الدنيا إذا احترقت مجال اليمين إلى مجال القلب وتربعت فيه . هنا تكون الهاوية وما أدراك ما هي نار حامية .

الدرس الأول

ما ذكره القرآن الكريم عن هذا الخبر الكبير الذى عرف فى بنى إسرائيل بعلمه الغزير والذى قضى أيامه ولياليه بجوار كلم الله موسى حتى جاء اليوم الذى أرسله فيه نبي الله موسى مبعوثاً ليبلغ أمر الله إلى أهل مدين وذهب إليهم بقلب نقى ووعظهم واستمعوا له بأذانهم ولسان قلوبهم يقول : سمعنا وعصينا بدلا من أن يقولوا سمعنا وأطعنا وواصل الخبر مواعظه وإرشاداته وواصلوا هم خداعه وإغراءه بالمادة وعرض زينة الحياة الدنيا عليه حتى سألوه يوماً : كم يعطيك موسى لقاء ما تبذل من جهد فى تبليغ هذه الرسالة قال لهم : إنما أقصد الأجر من الله قالوا : فإن أموالنا كثيرة ولن نبخل بها عليك فى سبيل ألا نسمع منك شيئاً حتى لا تفسد علينا بيعنا وشراءنا وفكر العالم كثيراً وتردى فى صراع عنيف حتى وصل مجال انعدام الوزن عندما سأل نفسه : موسى أم المال !! الله أم الشيطان !! الدنيا أم الآخرة ؟ وأصبح فى الأرض حيران استهوته الشياطين فهوى بعد أن اتبع الهوى ، تمرغ فى طين الأرض بعدما تربع على قبة الفلك إن هذا العالم هو بلعام بن باعورا . عالم بنى إسرائيل الذى قص الله علينا قصته فى سورة الأعراف حيث قال الله لرسوله ﷺ : ﴿ وائل عليهم نبأ الذى أتيناہ آیاتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثلہ کمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين کذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين کذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ .

فتأمل معي ما احتوى عليه هذا المشهد القرآني من أسرار وعجائب إنه نبأ ولا يستعمل القرآن لفظ النبأ إلا إذا كان المقام خطيراً والخبر العظيم جليلاً فما بالك برجل أتاه الله آياته وآيات الله يكفيها شرفاً أنها نسبت إلى الله وأضيفت إليه ، تذهب النفس كل مذهب في تفسيرها وتفصيلها وبيانها فقد اشتملت على الحكم الإلهية والمواعظ والارشادات والتوجيهات الربانية فماذا حدث هل تركها ؟ هل ابتعد عنها ؟ كلا لو كان الأمر كذلك لجاز أن يعود إليها بعد زمان طال أو قصر لكن القرآن أعطى معنى يدل على أن العود بالنسبة إليه محال قال تعالى : ﴿ فانسُخ منها ﴾ فما معنى الإنسلاخ . ؟ إن السُلخ في الأصل كشط الجلد عن اللحم وهو يعطينا أنه لا عودة ، فكما أن عودة الجلد إلى اللحم بعد سلخه أمر محال كذلك عودة هذا الذي أظلم قلبه بحب الدنيا ، عودته إلى آيات الله أمر محال ، لقد كانت الآيات بالنسبة إليه وقاية وعناية له من غضب الله كما أن الجلد وقاية وعناية باللحم فلما انسُخ من الآيات أصبح عرضة لغضب الله .

لقد كانت الآيات تزيّنه وتجمّله فلما إنسُخ منها أصبح مشوهاً دميم المنظر قميئاً فماذا كانت النهاية ؟ كانت النهاية ﴿ فكان من الغاوين ﴾ .

لماذا لم يكن من المغرّين إنما كان من الغاوين لأنه أصبح أستاذاً في الغواية دليل ذلك قوله تعالى ﴿ فاتبعه الشيطان ﴾ ولم يقل فتبع الشيطان أي أنه أصبح بعد الضلال والإنسلاخ من الآيات متبوعاً فصار الشيطان له تابعاً .

وهذا يذكرنا بقول أحد الحكماء :

وكنّت امرءاً من جنّد إبليس فارتقى إلى الحال حتى صار إبليس من جنّدى

ثم ماذا ؟ قال الله تعالى : ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ فمشيئة الله لا يعجزها شيء لكن الله لا يجبر أحداً على فعل شيء .

قال تعالى : ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى﴾ فماذا حدث من (بلعام) .

قال تعالى : ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ وما أمر ما بعد لكن إخلاد إلى الأرض واتباع للهوى إنما عبر القرآن بلفظ أخلد لأنه يعطينا معنيين : الميل والاطمئنان إلى ما مال إليه فهو عندما أخلد إلى الأرض مال إليها مطمئناً بها وبدلاً من أن يقول القرآن أخلد إلى الدنيا قال : أخلد إلى الأرض وهذا هو قدر الدنيا وقدر من مال إليها هو في الهاوية وفي الخسيف فما الدنيا إلا أرض تدمر من مال إليها مطمئناً بها قلبه إذا حلت أو حلت وإذا كست أو كست وإذا جلت أو جلت وإذا أينت نعت وكم من ملك رفعت له علامات فلما علامت .

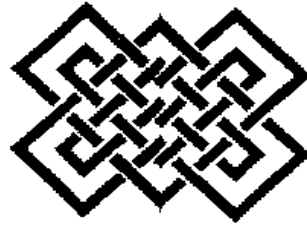
نعم إنه اتبع هواه وما الهوى إلا نوازع النفس إلى مسالك الشر وما أجمل هذا التحذير من الله عندما يقول : ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ .

وما قاله أحد الحكماء جدير بالتأمل : من عرف الهوى فقد هوى وما قاله آخر « نون الهوان من الهوى مخدوفة فإذا هويت فقد لقيت هوانا » . ما شأن هؤلاء وما صفاتهم وما حالهم الذين أخلدوا إلى الأرض واتبعوا هواهم ما حالهم في الدنيا ؟ إنهم في تعب دائم وعذاب نفس مستمر قال تعالى : ﴿فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ إنه تشبيهه للكلب في أحسن حالاته لا في أمانته وحراسته إنما في تعب

وشقائه فهو دائما يلهث أى يخرج لسانه ويتنفس بصعوبة فى كل حالاته سواء زجرته وقسوت عليه أم أرحته وعطفت عليه كذلك هؤلاء الذين اتبعوا الهوى وأخلدوا إلى الأرض إذا لم تعطهم الدنيا طلبوها وخطبوا ودها وإذا أعطتهم طلبوا المزيد منها ولو كان لأحدهم واديان من مال لا يتغنى ثالثاً ولا يملأ جوفه إلا التراب .

وهذا مثل ضربه الله لكل من كذب بآيات الله وأخلد إلى الأرض واتبع هواه وأمرنا الله أن نقصه على الناس ليتفكروا ويتذكروا ويعملوا ثم يعقب الله بعد ذلك قائلاً : ﴿ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ .

أى أن حال هؤلاء القوم يفسد الحال ومثلهم يفسد المثل وما ظلمهم الله لأن الله بين وأرشد فكان منه الإيجاد والإمداد والارشاد ولكنهم قابلوا ذلك كله بالجحود والإنكار والعتود والنفور ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ .



الدرس الثاني

ومن دروس القرآن الكريم مع النفوس الشاردة يحدثنا الكتاب العزيز عن شخصية أخرى أخلد صاحبها إلى الأرض واتبع هواه بعدما اقتضت الدنيا قلبه فأظلم وأدلم ومال وانتكس وفي أحوال الحياة ارتكس إنه « ثعلبة بن حاطب » الذي قال الله فيه وأمثاله ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله . بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه . بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾ .

يقول العلامة ابن كثير :

يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فما وفى بما قاله ولا صدق فيما ادعى فأعقبهم هذا الصنيع نفاقاً سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة عياداً بالله من ذلك وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري وقد ورد فيه حديث رواه جرير ههنا وابن أبي حاتم من حديث « معان ابن رفاعة عن علي بن يزيد عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد ابن معاوية عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يرزقني مالاً

قال : فقال رسول الله ﷺ : « ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه » قال ثم قال : مرة أخرى فقال : « أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ؟ » فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت قال : والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ارزق ثعلبة مالا » قال : فاتخذ غنماً فتمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتتحنى عنها فتزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم تمت وكثرت فتتحنى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ : « ما فعل ثعلبة ؟ » فقالوا يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال : « يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة » وأنزل الله جل ثناؤه ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما : مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك فقال : بلى خذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له . فأخذاهما منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال : أرياني كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيا فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال « يا ويح ثعلبة » قبل أن يكلمهما

ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمي فأنزل الله عز وجل ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ أَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ — الْآيَاتِ﴾ قال وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو على رأسه التراب فقال له رسول الله ﷺ هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أتى رسول الله ﷺ أن يقبل

صدقته رجع إلى منزله فقَبِضَ رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئا ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه حين استخلف فقال له قد علمت منزلي من رسول الله ﷺ وموضعى من الأنصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأنى أن يقبلها فقَبِضَ أبو بكر ولم يقبلها فلما ولى عمر رضى الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك ؟ فقَبِضَ ولم يقبلها فلما ولى عثمان رضى الله عنه أتاه فقال اقبل صدقتى فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك . فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان ، قوله تعالى : ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ . أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم كما في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » .

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهرها أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فإن الله أعلم بهم من أنفسهم لأنه تعالى علام الغيوب أى يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما بطن .

الدرس الثالث

من هذه الدروس مع النفوس التي جرفها المال فالتحرفت ما جاء في سورة الكهف قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخيل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالها نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً . لكننا هو الله ربى ولا أشرك برى أحداً . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً فعسى ربى أن يؤتىن خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلباً . وأحيط بشمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك برى أحداً . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً . هناك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقاباً ﴾ .

يقول العلامة ابن كثير :

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء

والمساكين من المسلمين وافترخوا عليهم بأموالهم وأحسابهم فضرب لهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أى بستانين من أعناب مخفوفتين بالنخيل المجدقة فى جنباهما وفى خلاهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مشر مقبل فى غاية الجودة ولهذا قال : ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ أى أخرجت ثمرها ﴿ ولم تظلم منه شيئاً ﴾ أى ولم تنقص منه شيئاً ﴿ وفجرنا خلاهما نهراً ﴾ أى والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا ﴿ وكان له ثمر ﴾ قيل المراد به المال روى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى ﴿ وكان له ثمر ﴾ بضم الراء وتسكين الميم فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب وقرأ آخرون ثمر بفتح الراء والميم فقال أى صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أى يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويرأس ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾ أى أكثر خدماً وحشماً وولداً . قال قتادة تلك والله أبنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر وقوله ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾ أى بكفره وتمرده وتكبره وتجبّره وإنكاره المعاد ﴿ قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴾ .

وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة فى جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تغنى ولا تفرغ ولا تمهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزيتها وكفره بالآخرة ولهذا قال : ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أى كائنة ﴿ ولئن رددت إلى ربي لأجلدن خيراً منها منقلباً ﴾ أى ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لى هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولولا كرامتى عليه ما أعطاني هذا كما قالت الآية الأخرى ﴿ ولئن رجعت إلى ربي إن لى عنده للحسنى ﴾ وقال : ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ﴾ أى فى الدار الآخرة تألى على الله عز وجل وكان سبب نزولها فى

العاصي ابن وائل . يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز ﴿ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ الآية . وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ الآية . أى كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جليلة كل أحد يعلمها من نفسه فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوماً ثم وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شيء من المخلوقات لأنه بمثابة معلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء ولهذا قال المؤمن : ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ أى لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿ وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ أى بل هو الله المعبود وحده

لا شريك له ثم قال ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ هذا تحضيض وحث على ذلك أى هلا إذا أعجبتك حين دخولها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ولهذا قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة ولقد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ فَيَقُولُ : ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَيَرَىٰ فِيهِ آفَةٌ دُونَ الْمَوْتِ ﴾ وَكَانَ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . » .

وقال الإمام أحمد بسنده عن أنى هريرة قال لى رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟ » قال : قلت فذاك أنى وأمى قال : « أن تقول لا قوة إلا بالله » قال أبو بلخ وأحسب أنه قال : فإن الله يقول ﴿ أسلم عبدي واستسلم ﴾ : قال فقلت لعمرؤ قال أبو بلخ قال عمرو قلت لأنى هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لا إنها فى سورة الكهف ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ وقوله : ﴿ فعسى رى أن يؤتين خيراً من جنتك ﴾ أى فى الدار الآخرة ﴿ ويرسل عليها ﴾ أى على جنتك فى الدنيا التى ظننت إنها لا تبيد ولا تنفى ﴿ حسبناً من السماء ﴾ قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهرى أى عذاباً من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقطع زرعها وأشجارها ولهذا قال ﴿ فتصبح صعيداً زلقاً ﴾ أى بقلعاً تراباً أملس لا يثبت فيه قدم وقال ابن عباس كالجرز الذى لا يثبت شيئاً وقوله ﴿ أو يصبح ماؤها غوراً ﴾ أى غائراً فى الأرض وهو ضد النابع الذى يطلب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى ﴿ قل أرايم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ﴾ أى جار وسائح وقال ههنا ﴿ أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً ﴾ والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه يقول تعالى : ﴿ وأحيط بشمره ﴾ بأمواله أو بثماره على القول الآخر والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسينان على جنته التى اغتر بها وألته عن الله عز وجل : ﴿ فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ﴾ وقال قتادة يصفق كفيه متأسفاً متلهفاً على الأموال التى أذهبها عليها ويقول : ﴿ ياليتنى لم أشرك بربى أحداً ولم تكن له فئة ﴾ أى عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ﴿ ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً . هنالك الولاية لله الحق ﴾ اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على

قوله : ﴿وما كان منتصراً هنالك﴾ أى فى ذلك الموطن الذى حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويتدىء بقوله : ﴿الولاية لله الحق﴾ ومنهم من يقف على : ﴿وما كان منتصراً﴾ ويتدىء بقوله : ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ ثم اختلفوا فى قراءة الولاية فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى هنالك الموالاة لله أى هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى مولاته والخضوع له إذا وقع العذاب كقوله : ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ وكقوله إخباراً عن فرعون ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ ومنهم من كسر الواو من الولاية أى هنالك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية كقوله تعالى : ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن . وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ .

ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل كقوله : ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿هو خير ثواباً﴾ أى جزاءاً ﴿وخير عقباً﴾ أى الأعمال التى تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير .

وهكذا يضع القرآن الحقائق واضحة صريحة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ويستنتج من هذه الحقائق نتيجة تسطع بضوئها على كل القلوب فيقول سبحانه معقباً على هذه القصة ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا﴾ .

فكم ساوت الدنيا عند الله ؟ والله ما ساوت جناح بعوضة ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرة ماء .

الدرس الرابع

من دروس المال والنفوس يتمثل أمامنا في صورة رجل طغى وبغى عندما كثر ماله فماذا فعل وكيف كانت عاقبته ؟ إليك ما قاله القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

المفسدين . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيته عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ . فَمَخْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَمْ آمَنَ وَعَمِلْ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيْكَأَنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ . تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعِلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا

يعملون . إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين . وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴿

قال المفسرون قال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ قال كان ابن عمه وهكذا قال أكثر أهل العلم ولكنه نافق السامرى وكان بنوا إسرائيل يلقبونه قبل نفاقه بالمنور لحسن صورته وسلوكه وقوله تعالى : ﴿فبغى عليهم﴾ وذلك عندما تمكن النفاق من قلبه بغى وظلم وحاف وجار . ونسى الله كما نسى قومه وهنا فتحت الدنيا عليه وخطر بلاء يصاب به ابن آدم ان يتلى بتسليط الدنيا عليه . يا ابن آدم إن لم ترض بما قسمت لك فلاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالى .

قال تعالى : ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه تسوء بالعصبة أولى القوة﴾ .

قال المفسرون المقصود من الكنوز هنا : الأموال وفى هذا التعبير كناية من كنايات القرآن البديعة إذ كانت مفاتيح الكنوز لا يقوى على حملها الجماعات من الرجال الأقوياء الأشداء وقد ذكر أن هذه المفاتيح كان كل مفتاح منها لا يزيد على الأصبع ومن هنا بدأ القوم الصالحون يوجهون إليه خمس نصائح اشفاقاً عليه وخوفاً من أن يموت من الأشقياء الذين لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وجاءت النصائح على الترتيب التالى :

- ١ — لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين .
- ٢ — وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة .
- ٣ — ولا تنس نصيبك من الدنيا .
- ٤ — وأحسن كما أحسن الله إليك .
- ٥ — ولا تبغ الفساد في الأرض .

ثم عقبوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ .

والفرح المنهى عنه كما قال مجاهد : الأشر والبطر أى الذى يدعو صاحبه إلى الوقوع فيما يفضب الله وينسيه ذكره وشكره ويدخل فيه الاختيال والفخر قال تعالى : ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ وقد كان سلمان الفارس رضى الله عنه يقول : عجبت لثلاثة وبكيت لثلاثة : عجبت لغافل وليس بمغفول عنه وعجبت لمؤمل فى الدنيا والموت يطلبه وعجبت لضاحك ملء فيه لا يدري آله راض عنه أم ساخط عليه . وبكيت لفراق الأختة محمد وصحبه وبكيت لهول المطلع عند سكرات الموت وبكيت للوقوف بين يدي الله لا أدري أينطلق إلى الجنة أم إلى النار وقد جاء فى صحف موسى وقد كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح وعجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت لمن أيقن بالرزق ثم هو يتعب وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هو يغفل وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن قلبه إليها .

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ .

وجل جلال الله إذ يقول : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

وتبارك الله إذ قال : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً كلا نعد هؤلاء هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ .

وتأتى النصيحة الثانية متمثلة في قوله تعالى : ﴿ وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ﴾ أى استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة .

وجاءت الوصية الثالثة قوله تعالى : ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ أى مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً فآت كل ذى حق حقه .

وجاءت الوصية الرابعة ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ أى أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك .

وجاءت الوصية الخامسة ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض ﴾ أى لا تكن هتاك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض وتسيء إلى خلق الله ﴿ إن الله لا يحب المفسدين ﴾ .

وهذه الوصايا الخمس التي وجهت إلى قارون إنما هي وصايا عامة لإصلاح نفوس الأغنياء حتى لا تطفئ عليهم الماديات الخطيرة التي إذا

تمكنت من القلوب أبعدتها عن ذكر الله ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ .

هذا في الوقت الذي نجد النصائح تنص على إباحة الطيبات من الرزق ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ وهنا ينادى القرآن الكريم على المؤمنين في أسلوب فريد في قوته وحيد في جلاله ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ .

ويقف القرآن بالنفس البشرية موقف الانضباط العجيب فيخاطبهم قائلاً : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ .

ومن هنا فإن الله حدوداً فلا تعتدوها وفرائض فلا تضيعوها وحرمان فلا تنتهكوها وأموراً فلا تخالفوها ولقد سكنت عن أشياء رحمة بنا من غير نسيان فلا تسألوا عنها ولقد كان للوصايا تعقيب عجيب في القرآن الكريم ، عقت الآية على الوصية الأولى قائلة ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ وعلى الوصايا الباقيات قائلة : ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ فأهل البطر والفساد خرجوا من دائرة الحب الإلهي ومن فقد هذا الجانب فقد تبدد جمعه وتمزق شمله وأصبح كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب .

فماذا كان رد قارون على هذه النصائح ؟ لقد ثارت ثورته وجن جنونه وأخذته العزة بالإثم فنطق من منطق المال ومن منطق الغنى المطغى . قال إنما أوتيته على علم عندي وهذه الكلمة (عندي) إحدى كلمات ثلاث أودت بأصحابها إلى قاع الهاوية وما أدراك ما هي نار حامية فإبليس قال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فكلمة (أنا) إحدى هذه الكلمات طردت إبليس من رحمة الله إلى يوم يعثون وفرعون قال (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) فجاءت كلمة (لي) على لسان فرعون مجيء الفخر والكبر فكان مصيره أن يقدم قومه يوم القيامة ﴿ فأوردهم النار وبشئ الوارد والمورود ﴾ فاحذر يا أخي من هذه الألفاظ الثلاثة التي تجري على لسانك مجرى الاختيال والفخر واعلم أنه من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله واسمع إلى ما قاله سيد ولد آدم : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر » .

ثم يبين الكبير في كلمات موجزة وجيزة فيقول ﷺ : « الكبير غمط الناس وبطر الحق » .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الدراسات القرآنية الاستنباطية أن نذكر ما قاله نبي الله سليمان عندما وجد عرش بلقيس أمامه لم يقل أنا خير من يمش على الأرض ولم يقل : أليس لي ملك بلقيس ولم يقل إنما أوتيته على علم عندي . إنما تذكر عظمة الله وكبريائه وجلاله فقال : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ .

وأي علم يا قارون ينفع صاحبه إن كان خالياً من نعمة الله وتوفيقه ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ وكان من هدى الرسول ﷺ إذا أصبح أن يقول : « اللهم ما أصبح لي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك

وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر وكان إذا أمسى يقول
اللهم ما أمسى لي من نعمة ... » إلخ

إذا لم يكن عون من الله للغنى فأول ما يجنى عليه اجتهاده . الحمد لله تملأ
الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور
والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس
يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها . فماذا كان جواب الله على ما ادعاه
قارون ؟ ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه
قوة وأكثر جعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ .

وهذا أسلوب القرآن في معاملة الطغاة الجبابرة فيا ابن آدم إذا غرتك
قوتك فلما استحكمت فيك شهوتك وإذا غرك غناك فارزق عباد الله يوماً
واحداً . من أنت يا من يناديك القبر كل يوم ويقول لك أنا بيت الدود أنا
بيت التراب أنا بيت الوحشة أنا بيت الوحدة أنا بيت الغربة أنا بيت الضيق
إلا من وسعني الله عليه . من أنت حتى تتكبر على الله تعالى وأولك نطفة
مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت بين هذا وذاك تحمل في جوفك العذرة
تنتك عرقة وتؤذيك بقة وتقتلك شرقة .

يا مدعى الكبر إعجاباً بصورته أنظر خلاك فإن التبن ثريب
لو فكر الناس فيجا في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا أقصر فإنك مأكول ومشروب

واستمع معي إلى هذه الدرر الغوالي التي يقدمها لنا سيد البشرية محمد
ﷺ فيقول « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا نظر أحدكم إلى
من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه » .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من يأخذ غنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن » قلت : أنا يا رسول الله فأخذ بيدي وعد خمساً وقال : « إتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .
[رواه الترمذى والإمام أحمد] .

عن مقدم بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

عن عثمان رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء » .

وعن عبيد الله بن محصن عن أبيه رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » [رواه الترمذى بسند حسن] .

صورة لأهل الدنيا الذين يقصدون أصحاب المال والجاه قال الله تعالى حكاية عن حال قارون وقومه : ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجميل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها وتمنوا أن لو كان لهم مثل الذى أعطى ﴿ قالوا يا ليت لنا مثل ما ألقى قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾ أى ذو حظ وافر من الدنيا فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم ﴿ ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ﴾ أى جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين فى الدار الآخرة خير مما ترون . كما فى الحديث الصحيح يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرءوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقوله : ﴿ ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ .

قال السدى ولا يلقى الجنة إلا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم قال جرير ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون فى الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعاً من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل وإخباره بذلك وهكذا أهل الدنيا .

رأيت الناس قد مالوا	إلى من عنده مال
ومن لا عنده مال	فمنه الناس قد مالوا
رأيت الناس قد ذهبوا	إلى من عنده ذهب
ومن لا عنده ذهب	فمنه الناس قد ذهبوا
رأيت الناس منفضة	إلى من عنده فضة
ومن لا عنده فضة	فمنه الناس منفضة

نهاية محتومة :

﴿ فخشفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا بالأُمس يقولون ويكأن الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾ .

لماذا ذكر تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة » ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة القاصي حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الأرض فأخذته فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة » [تفرد به أحمد وإسناده حسن] .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرني محمد بن مسلم سمعت زياد العميري يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين فاختال فيهما فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر في كتاب العجائب الغريبة بسنده عن نوفل بن مساحق قال : رأيت شاباً في مسجد نجران فجعلت أنظر إليه وأتعجب من طوله وتماحه وجماله فقال : مالك تنظر إليّ فقلت أعجب من

جمالک وکمالک فقال إن الله لیعجب منی . قال فما زال ینقص وینقص حتی صار بطول الشبر فأخذه بعض قرابته فی کمه وذهب به .

وقد ذکر أن هلاک قارون کان من دعوة موسى نبی الله علیه السلام واختلف فی سببه فعن ابن عباس والسدی أن قارون أعطی امرأة بغیا مالا علی أن تبته موسى بحضرة الملاء من بنی اسرائیل وهو قائم فیهم یتلو علیهم کتاب الله تعالی فتقول یا موسى : إنک فعلت لی کذا وکذا فلما قالت ذلك فی الملاء لموسی علیه السلام أرعد من الغرق وأقبل علیها بعد ما صلی رکعتین ثم قال : أنشدک بالله الذی فرق البحر وأنجاکم من فرعون وفعل کذا وکذا لما أخبرتنی بالذی حملک علی ما قلت ؟ فقالت : أما إذا أنشدتنی فإن قارون أعطانی کذا وکذا علی أن أقول ذلك لك وأنا استغفر الله وأتوب إلیه فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجدا وسأل الله فی قارون فأوحى الله إلیه أن قد أمرت الأرض أن تطیعک فیہ فأمر موسى الأرض أن تبخله وداره فكان ذلك .

وقیل إن قارون لما خرج علی قومه فی زینته تلك وهو راکب علی البغال الشهب وعلیه وعلى خدمه ثياب الأرجوان المصبغة فمر فی محفلة ذلك علی مجلس بنی الله موسى علیه السلام وهو یذکرهم بأیام الله فلما رأى الناس قارون انصرفوا وجوههم نحوه ینظرون إلی ما هو فیہ فدعاه موسى علیه السلام : وقال : ما حملک علی ما صنعت ؟ فقال : یا موسى أما لکن کنت فضلت علی بالنبوة فلقد فضلت علیک بالدنیا ولکن شئت لنخرجن فلتدعون علی وأدعو علیک فخرج موسى وخرج قارون فی قومه فقال موسى علیه السلام تدعو أو أدعو أنا ؟ فقال بل أدعو أنا فدعا قارون فلم یجب له ثم قال موسى : أدعو ؟ قال : نعم فقال موسى : اللهم مر الأرض أن تطیعنی الیوم فأوحى الله إلیه أنى قد فعلت فقال موسى : یا أرض خذیهم

فأخذتهم إلى أقدامهم . ثم قال خذهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم إلى مناكبهم ثم قال أقبل بكنوزهم وأموالهم قال : فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى بيده ثم قال اذهبوا بنى لاوى فاستوت بهم الأرض . وعن ابن عباس قال : خسف بهم إلى الأرض السابعة وقال قتادة ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة فهم يتجملجلون فيها إلى يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ أى ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو فى نفسه منتصراً لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره .

موقف عجيب

ماذا كان حال الذين تمنوا أن يكونوا مثل قارون قال تعالى : ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ .

وهكذا تلعب المظاهر الخلابه والماديات الجاذبة تلعب دورها بأهل الدنيا ولقد جاء ختام هذه القصة والتعقيب عليها داعياً إلى انتباه الأذهان انتبهاً يدعو إلى اليقظة . ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ .

يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض أى ترفعاً على خلق الله وتعظماً عليهم وتجبراً بهم ولا فساداً فيهم كما قال عكرمة العلو : التجبر وقال سعيد بن جبير العلو : البغى وقال سفيان النورى عن منصور عن مسلم البطين العلو في الأرض : التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق وقال ابن جريج : ﴿ لا يريدون علواً في الأرض ﴾ تعظماً وتجبراً ﴿ ولا فساداً ﴾ عملاً بالمعاصى . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبى عن أشعث السمان عن أبى سلام الأعرج عن أبى علي قال : إن الرجل ليعجبه من شرك نعله أن يكون أجود من شرك نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره فإن ذلك مذموم كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجميل فهذا لا بأس به فقد ثبت أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسناً ونعلي حسنة أفمن الكبر ذلك ؟ فقال لا ﴿ إن الله جميل يحب الجمال ﴾ .

ومن عجيب ما يرى في هذا المقام أن هذا التعقيب جاء بعد قصتين لطاغيتين من طواغيت البشر هما فرعون وقارون فقد تحدثت هذه السورة الكريمة عن جبروت فرعون بما عهز له الجبال الشم الرواس الشاخات ولندكر جانباً منها على سبيل العبرة والتبرك بتلاوة القرآن الكريم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين .

وتمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين .

طاغية السلطان

وينتقل بنا النظم الكريم ليبين لنا مدى طغيان السلطة على هذا الطاغية فيقول سبحانه : ﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس من جانب الطور نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعل أتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب . يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين . اسلك يدك في جيبك تخرج يبيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذاتك برهانان من ربك إلى فرعون وملأه إنهم كانوا قوماً فاسقين . قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون . فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون . وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعل أطلع إلى

إله موسى وإلى لأظنه من الكاذبين . واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناهم وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينجسون . وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين . .

ومن عجيب ما يقصه علينا القرآن العظيم أن الله تعالى بين قصة الطاغيتين : طاغية السلطان وطاغوت المال . يتحدى الله البشرية جمعاء بآيتين من آياته . ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكون فيه أفلا تبصرون ﴾ .

﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ .

سل الواحة الخضراء والماء جاريا	وهذي الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانا سل الزهر والندي	سل الليل والأصباح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما	وسل كل شيء تسمع الحمد ساريا
فلو جن هذا الليل وامتد سرمدا	فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا

سبحانك يا من لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأقطار ولا يؤثر فيه الليل والنهار وهو الواحد القهار .

تعقيب :

ويعقب القرآن الكريم على هاتين القصتين بتعقيب مهيب رهيب ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ وكلا الرجلين كان عالياً في الأرض مفسداً فيها فإله يقول في شأن فرعون : ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ وقال قوم قارون له ﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ ثم تنطق العدالة الإلهية هذا المنطق المشرق المضئ ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذي عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

قال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ (أى يوم القيامة) ﴿ فله خير منها ﴾ أى ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة وهذا مقام الفضل ثم قال : ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذي عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ كما قال في الآية الأخرى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ . وهذا مقام الفضل والعدل .

وتتمة للفائدة : فإننا نذكر الآيات الكريمة التي ختم الله بها هذه السورة المباركة . لقد توجه الخطاب الكريم بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين . ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله

إله آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴿١﴾ .

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس . ومخبراً له بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال تعالى : ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ أى افترض عليك أدائه إلى الناس ﴿لرادك إلى معاد﴾ أى إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ .

وقال تعالى : ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجيتم﴾ وقال : ﴿وجيء بالنبیین والشهداء﴾ وقال السدى عن أبى صالح عن ابن عباس ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يقول لرادك إلى الجنة ثم سائلك عن القرآن . قال السدى : وقال أبو سعيد مثلها ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال إلى يوم القيامة ورواه مالك عن الزهري وقال الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿لرادك إلى معاد﴾ إلى الموت ولهذا طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما وفي بعضها لرادك إلى معدنك من الجنة وقال مجاهد يحبيك يوم القيامة وكذا روى عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وأبى قزعة وأبى مالك وأبى صالح وقال الحسن البصرى أى والله إن له لمعادا فيبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة .

وقد روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخارى فى التفسير من صحيحه حدثنا محمد ابن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان الثوري عن عكرمة عن ابن عباس ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال إلى مكة وهكذا رواه النسائي فى تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنافى به وهكذا

رواه العرفى عن ابن عباس ﴿لرأءك إلى معاء﴾ أى لرأءك إلى مكة كما أأرءك منها وقال محمد ابن إسءاق عن مجاهد فى قوله : ﴿لرأءك إلى معاء﴾ إلى مولءك بمكة .

وقال ابن أبى ءاتم وقد روى عن ابن عباس وبءى بن الجزار وسعيد بن جبىر وعطية والضءاك نءو ذلك . وءءنا أبى ءءنا ابن أبى عمر قال : قال سفىان فسمعناه من مقاتل منذ سبعىن سنة عن الضءاك قال لما أخرج النبى ﷺ من مكة فبلغ الجءفة اشتاق إلى مكة فأأزل الله عله : ﴿إن الذى فرض علك القرآن لرأءك إلى معاء﴾ إلى مكة وهذا من كلام الضءاك يقتضى أن هذه الآفة مءنىة وإن كان مءموع السورة مكىاً والله أعلم .

وقد روى ابن أبى ءاتم بسنده عن نعى القارى أنه قال فى قوله ﴿لرأءك إلى معاء﴾ قال إلى بىء المقدس وهذا أعلم يرجع إلى قول من فسر ذلك بىوم القىامة لأن بىء المقدس هو أرض المءشر والمئشر والله الموفى للصواب ووجه الجمع بىن هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برءوعه إلى مكة وهو الفءء الذى هو عند ابن عباس أماراة على اقءراب أجل النبى ﷺ كما فسر ابن عباس سورة : ﴿إذا جاء نصر الله والفءء﴾ إلى آخر السورة أنه أجل رسول الله ﷺ نعى إليه وكان ذلك بمءضرة عمر بن الءطاب ووافقه عمر على ذلك وقال : لا أعلم منها غير الذى تعلم ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله : ﴿لرأءك إلى معاء﴾ بالموت وتارة بىوم القىامة الذى هو بعد الموت وتارة بالجنة التى هى جزاؤه ومصبره على أءاء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلىن الإنسان والجن ولأنه أكمل أخلق الله وأفصح أخلق الله وأشرف أخلق الله على الإءلاق وقوله تعالى : ﴿قل ربى أعلم من

جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ﴿ أى قل لمن خالفك وكذبك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم قل ربي أعلم بالمهتدين منكم ومنى وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار ولن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى مذكراً لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله إليهم ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب ﴾ أى أما كنت تظن قبل إنزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ أى إنما أنزل الوحي عليك من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك فإذا منحك بهذه النعمة العظيمة ﴿ فلا تكونن ظهيراً ﴾ أى معيناً ﴿ للكافرين ﴾ ولكن فارقهم ونايذهم وخالفهم ﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ﴾ أى لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك ولا تلو على ذلك ولا تبال فإن الله معك كلمتك ومؤيد دينك ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان ولهذا قال ﴿ وادع إلى ربك ﴾ أى إلى عبادة ربك وحده لا شريك له ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ وقوله : ﴿ ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو ﴾ أى لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الألوهية إلا لعظمته وقوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحى القيوم الذى تمت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ فعبر بالوجه عن الذات ومكذا قوله مهنا ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ أى إلا إياه وقد ثبت في الصحيح من طريق أنى سلمة عن أنى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد » ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وقال مجاهد والثوري في قوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ أى إلا ما أريد به وجهه وحكاه البخارى في صحيحه كالمقرر له قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر :

أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافي الصريح الأول فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فإنه الأول والآخر الذى هو قبل كل شيء وبعد كل شيء . قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا فى كتاب التفكير والاعتبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبى بكر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عمر ابن سليم الباهلى حدثنا أبو الوليد قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتى الخربة فيقف على بابها فينادى بصوت حزين : فيقول أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ وقوله : ﴿ له الحكم ﴾ أى الملك والتصرف ولا معقب لحكمه ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أى يوم معادكم فيجزىكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .



الدروس المستفادة من أحاديث رسول الله ﷺ

وبعد هذا الطواف المبارك نطوف حول رياض السنة لنقطف منها الثمار الدانية التي تتلاقى مع الآيات السابقات في مودة ورحمة تأخذ بيد السارى إلى شاطئ النجاة فإلى هذه المجموعة المقدسة من كلام رسول الله ﷺ .
عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل » .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر » . [رواهما الشيخان والترمذى عن كعب بن مالك رضى الله عنه] عن النبى ﷺ قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه » . [رواه الترمذى والإمام أحمد] .

عن عبد الله رضى الله عنه قال : خط النبى ﷺ « خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذى في الوسط من جانبه الذى في الوسط وقال هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذى هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا » [رواه البخارى والترمذى] .

عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثل ابن آدم وإلى جنبه تسعة وتسعون مئة إن أخطأته المنايا وقع في الهرم .

عن أبي بكرة رضى الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله أى الناس خير قال : « من طال عمره وحسن عمله قال فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله » [رواه الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه] . عن النبي ﷺ قال : « أعذر الله إلى إمرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة » .

وقال على رضى الله عنه ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فكل أم يتبعها ولدها واليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل .

إن المعيار الصادق والميزان الحكيم الذى وزن الإسلام به الأمور وقيم به الرجال وحدد به المفاهيم هو ميزان التقوى فلا المال ولا الحسب ولا النسب ولا القوة تصلح أن تكون معياراً لقيمة من القيم أو ميزاناً لتقييم أيا كان نوعه بل أن منطق الإسلام يحدد المعيار والميزان في قوله تعالى : ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فليس الغنى بالمال شرفاً كما أن الفقر على الفضيلة ليس عيباً .

عن سعد رضى الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال : المشركون للنبي ﷺ اطرده هؤلاء لا تجترئون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هزيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله وحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [رواه مسلم]

عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله والله إنى لأحبك فقال : انظر ماذا تقول قال والله أنى لأحبك
فقال انظر ماذا تقول قال والله إنى لأحبك ثلاث مرات فقال : إن كنت
تجنبنى فاعد للفقر تحففاً فإن الفقر أسرع إلى من تجنبنى من السيل إلى متناه .
عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « عرض على ربي
ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً قلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً
أو قال ثلاثاً أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبع
شكرتك وحمدتك » .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « إن أغبط أوليائى عندى لمؤمن خفيف
الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضاً
فى الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك ثم نفى
يده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه » [رواه الترمذى] .

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال مر رجل على النبي ﷺ فقال
لرجل جالس عنده ما رأيك فى هذا ؟ فقال رجل من أشرف الناس هذا
والله حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع فسكت النبي ﷺ ثم مر
رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ ما رأيك فى هذا ؟ فقال يا رسول الله
هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى إن خطب ألا يشفع وإن قال ألا
يسمع لقوله فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا .

عن مرادس الأسلمى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « يذهب
الصلحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو القمح لا يبالهم
الله بالة » [رواهما الشيخان] .

وقيل لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ألسنا من فقراء المهاجرين ؟
فقال ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال نعم قال ألك مسكن تسكنه ؟ قال نعم قال

فأنت من الأغنياء قال فإن لي خادماً قال فأنت من الملوك . [رواه مسلم] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « اللهم ارزق آل محمد قوتاً » . [رواه البخاري والترمذي ومسلم بلفظ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً] . وللترمذي ومسلم قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنعه الله . وفي رواية طوي لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع .

عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء » [رواه الشيخان والترمذي] .

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجحيم محبسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء » [رواه الشيخان] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام » .

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اللهم أحيني مسكيناً وأميتي مسكيناً واحشري في زمرة المساكين يوم القيامة فقالت عائشة لم يارسول الله قال إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمر أو بغيره يا عائشة أحبي المساكين وقربهم فإن الله يقربك يوم القيامة » .

وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ : « يا عائشة إن أردت اللحوق بي فليكلفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة

الأغنياء ولا تستخلفني ثوباً حتى ترقعيه» [روى هذه الثلاثة الترمذى] .
إن رسول الله ﷺ يضرب المثل الأعلى والقذوة الطيبة والأسوة الحسنة
عندما تخبرنا عائشة رضي الله عنها فتقول ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم
المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض . وعنها رضي الله عنها قالت
توفي ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كد إلا شطر من شعير في رفي لي
فأكلت منه حتى طال على فكلته ففني . رواها الشيخان والترمذى ولمسلم
والترمذى ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض .
ولمسلم لقد مات النبي ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين .
وعنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما يوقد في بيتنا نار إنما هو التمر والماء إلا
أن نؤتي باللحم .

وعنها رضي الله عنها قالت لعروة يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال
ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار فقلت ما
كان يعيتمكم قالت الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ
جيران من الأنصار كان لهم منائح كانوا يمنحون منها رسول الله ﷺ
فيسقيناه .

عن قتادة رضي الله عنه قال كنا نأتي أنس بن مالك رضي الله عنه ونخبره
قائم فقال كلوا فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا
رأى شاة سميطة بعينه قط . [رواه البخارى] .

عن عبد الله رضي الله عنه قال نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد
أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك (أى فراشا لنا) فقال ما لي
وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج فيها

ولا يلقاه فيها أحد فأتاه أبو بكر رضى الله عنه فقال ما جاء بك يا أبا بكر فقال خرجت ألقى رسول الله ﷺ وأنظر وجهه فلم يلبث أن جاء عمر فقال ما جاء بك يا عمر قال الجوع يا رسول الله فقال ﷺ وأنا قد وجدت بعض ذلك فانطلقوا إلى منزل أوى الهيم بن التيهان الأنصارى وكان رجلاً كثير النخل والشاء ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لإمرأته أين صاحبك فقالت انطلق يستعذب لنا الماء فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيم بقربة فوضعها ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويفديه بأبيه وأمه ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطاً ثم انطلق إلى نخله فجاء بقنو فوضعه فقال النبي ﷺ أفلا تنقيت لنا من رطبه فقال يا رسول الله إني أردت أن تخيروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله ﷺ : هذا والذي نفسى بيده من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد فانطلق أبو الهيم ليصنع لهم طعاماً فقال النبي ﷺ : لا تدجن ذات در فذبح لهم عناقاً أو جدياً فأتاهم بها فأكلوا فقال النبي ﷺ : هل لك خادم ؟ قال لا . قال فإذا أتانا سبى فأتنا فألقى النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيم فقال النبي ﷺ اختر منهما . فقال يانبي الله اختر لى فقال النبي ﷺ إن المستشار مؤتمن خذ هذا فإني رأيته يصلى واستوصى به معروفاً فانطلق أبو الهيم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت ما أنت ببالحق ما قال فيه النبي ﷺ حتى تعتقه فقال هو عتيق فقال النبي ﷺ : إن الله لم يعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالاً ومن يوق بطانة السوء فقد وقى .

وعنه أنهم أصابهم جوع فأعطاهم رسول الله ﷺ تمره تمره .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوديت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتت على ثلاثون بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شئ يواريه إبط بلال » .

وقيل لسهل رضى الله عنه أكل النبي ﷺ النقي الحواري فقال : ما رأى النبي ﷺ النقي حتى لقي الله فقبل له : هل كانت لكم مناخل على عهد النبي ﷺ قال ما كانت لنا مناخل قيل فكيف كنتم تصنعون في الشعير قال كنا ننفضه فيطير منه ما طار ثم نثريه فنعجنه .

عن أنى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول الله الذى لا إله إلا هو أن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وأن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبعنى فمر فلم يفعل ثم مر بى عمر فسأله عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبعنى فمر فلم يفعل ثم مر بى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى ثم قال يا أبا هر . قلت : لبيك يا رسول الله قال الحق فمضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخلت فوجد لبناً فى قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهده لك فلان أو فلانة قال أبا هر . قلت لبيك يا رسول الله . قال الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فسألت ذلك فقلت وما هذا اللبن فى أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاعوا أمرنى فأعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطيهم القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فأعطيته الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال : بقيت أنا وأنت قلت صدقت

يارسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة . [رواه البخارى والترمذى والإمام أحمد] .

عن فضالة بن عبيد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخرج رجال من قانتهم فى الصلاة من الخصاصية وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين أو مجانون فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببهم أن تزدادوا فاقة وحاجة قال فضالة وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ . [الترمذى. بسند صحيح] .



الدرس الخامس

وهنا ننتقل بالقارئ الكريم إلى الدرس الخامس من الدروس المستفادة التي سبق أن قدمنا أربعة منها وقد بين الله هذا الدرس في سورة ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلأومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون كذلك العذاب وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ .

قال العلامة ابن كثير تعقياً على هذه الآيات الكريمة وتفسيراً لها : هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمخاربة ولهذا قال تعالى : ﴿إنا بلوناهم﴾ أي اختبرناهم ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ وهي البستان المشتغل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾ أي حلفوا فيما بينهم ليجدن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ﴿ولا

يستثون ﴿ أى فيما حلفوا به ولهذا حثهم الله فى أيمانهم فقال تعالى : ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴾ أى أصابتها آفة سماوية ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ قال ابن عباس أى كالليل الأسود وقال الثورى والسدى مثل الزرع إذا حصد أى هشيما يسا وقال ابن أبى حاتم ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبى سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والمعاصي إن العبد ليدنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان همى له » ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ﴾ قد حرّموا خير جنتهم بذنوبهم ﴿ فتنادوا مصبحين ﴾ أى لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجذاذ أى القطع ﴿ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ﴾ أى تريدون الصرام قال مجاهد : كان جرثهم عنباً ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ أى يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى : ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴾ أى يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم ؟ قال الله تعالى : ﴿ وغدوا على حرث ﴾ أى قوة وشدة وقال مجاهد : ﴿ وغدوا على حرث ﴾ أى جد وقال عكرمة على غيظ وقال الشعبي ﴿ على حرث ﴾ على المساكين وقال السدى ﴿ على حرث ﴾ أى كان اسم قريتهم حر فأبعد السدى فى قوله هذا ﴿ قادرين ﴾ أى عليها فيما يزعمون ويرومون ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ﴾ أى فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهى على الحالة التى قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا ﴿ إنا لضالون ﴾ أى قد سلكنّا إليها غير الطريق فنهنا عنها قال ابن

عباس وغيره ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا ﴿بل نحن محرومون﴾ أى بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب ﴿قال أوسطهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة أى أعدلهم وخيرهم ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ قال : مجاهد والسدى وابن جريج ﴿لولا تسبحون﴾ أى لولا تستثنون قال السدى وكان استثنائهم فى ذلك الزمان تسبيحا وقال ابن جرير هو قول القائل إن شاء الله وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أى هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا ﴿إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين﴾ أى اعتدنا وبغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا .

﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ قيل رغبوا فى بدلها لهم فى الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها فى الدار الآخرة والله أعلم . ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما

بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أى هكذا العذاب عذاب من خالف أمر الله وبخل بما أتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات وبدل النعمة نعمة الله كفرا . ﴿ وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أى هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد فى حديث رواه الحافظ البيهقى من طريق جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل .

فانظر يا أخى نظرة المتأمل مدى الخطر المترتب على نطق اللسان بالسوء ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرَمَهَا ﴾ وكيف تجاوب اللسان مع النية ؟ ﴿ وَلَا يَسْتَشْنُونَ ﴾ أى صمموا وعزموا دون أن ينطلقوا بالمشقة المهيمنة أو يستثنوا نصيب الفقراء وكيف قطعوا على أنفسهم عهداً أن يقوموا فى الصباح قبل أن تبرز الغزالة من خدرها وقبل أن يتنفس الصبح ويسفر الفجر فعاملهم الله بالعقاب من حيث لم يحتسبوا وكانوا وقتها نائمين والعقاب يقظ ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴾ ثم أنظر وقد عزموا على أن يقطعوها هم فأحرقها النار فأصبحت كالصريم وكيف قاموا من سباتهم ﴿ فنادوا مصبحين ﴾ أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ﴿ وكيف أسروا النجوى فى أنفسهم ﴾ وأقبل بعضهم على بعض ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون وعزموا على الأمر السئ والنية المشعومة ﴾ أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴾ وغدوا فى زعمهم قادرين على المنع ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ فماذا كانت المفاجأة كانت رهية ومهية وعنيفة المنع ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ فماذا كانت المفاجأة كانت رهية ومهية وعنيفة تنخلع من هولها الأفتدة وتفطر من جيرونها القلوب . لقد ضلوا عن طريق جنتهم

في زعمهم لأنها أصبحت أثراً بعد عين ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ﴾ ثم تابوا إلى رشدهم ﴿ بل نحن محرومون ﴾ . ثم قال أعقلهم وأكيسهم ﴿ ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ فقالوا بعد فوات الأوان ﴿ سبحان ربنا إنا كنا طاغين ﴾ . قالوها والندم يكوى النفوس ويسيل النفس مرارة ولوعة ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ وهكذا تعمل النية عملها .

صدقت ياسيدى يا رسول الله : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » وصدقت يا أبا القاسم : « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وإن قوماً غرّبهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

أخى المسلم إليك هذه الوصايا النبوية الشريفة أرجو أن تعمل بها : عن أى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » . [رواه الشيخان والترمذى ولفظه أن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً في النار] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم » [رواه البخارى والترمذى ولفظه إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » [رواه الأربعة] .

عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجلبيه أضمن له الجنة » [رواه الشيخان والترمذى] .

عن سفيان الثقفى رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله حدثنى بأمر أعصم به قال : « قل ربى الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسان نفسه ثم قال هذا » .

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما النجاة قال : « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وإبك على خطيئتك » .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » .

عن أم حبيبة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى » .

عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تذكر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا » .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من غير أخاه بذنوب لم يميت حتى يعمل » .

عن وائلة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويتليك » [روى هذه السبعة الترمذى] .

ومن وصايا الرسول ﷺ السلامة فى العزلة .

عن أبي سعيد رضى الله عنه قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال
يا رسول الله أى الناس خير قال : « رجل جاهد بنفسه وماله ورجل فى
شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره » [رواه البخارى
وأحمد] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « يأتى على الناس زمان يكون خير مال
الرجل المسلم الغنم يتبع بها سعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من
الفتن » [البخارى وأبو داود] .

وعن عطية السعدى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يبلغ العبد
أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس » [رواه
الترمذى والحاكم] .

وعن على بن الحسين رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن من
حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » [رواه الترمذى وأحمد والحاكم] .
عن أنس رضى الله عنه قال توفى رجل من الصحابة فقال رجل أبشر
بالجنة فقال رسول الله ﷺ : « أولا تدرى فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو يخل
بما لا ينقصه » [الترمذى] .



الدرس السادس

عن المال والنفس

يقول فيه مولانا تبارك وتعالى : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر . ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحدة للبشر عليها تسعة عشر ﴾ .

والمراد بهذا الذي يقص الله علينا شأنه هو الوليد بن المغيرة الذي سبق أن ذكر الله صفاته عندما أساء الوليد الأدب على رسول الله ﷺ فاتهمه بالجنون قال تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم فستبصر ويصرون بأبيكم المفتون إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

بعد أن نفى الله تعالى مهمة الجنون عن حبيبه ومصطفاه وأثبت له الأجر والثواب الذي لا ينقطع أبدا ولا ينقضي سرمداً ومدحه بما منحه وشهد له بالخلق العظيم . قال تعالى مهدداً وموعداً فسترى وترون من المجنون ومن الذي افتتن في عقله ومحن ثم واسى حبيبه فقال : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ثم ذكر بعد ذلك الوليد فقال :

﴿ فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين .
 هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا
 مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على
 الخراطوم ﴾ .

ففى الصفة الأولى جعل التكذيب من شأنه فهو من المكذبين بالحق
 المجادلين بالباطل وإنه ومن على شاكلته يودون لو مال الرسول إليهم فهم
 بذلك يدهنون ويخادعون ووصفه ثانياً بأنه حلاف والحلاف صيغة مبالغة
 من الحلف والرجل إذا أكثر حلفه كثر كذبه لأنه سيستبين بجلال الله
 وعظمته ووصفه ثالثاً بأنه مهين أى حقير وأى حقارة تلك التى يتصف
 صاحبها بهذه الصفات ووصفه الله تعالى رابعاً أنه هماز أى كثير الهمز
 والعيب والطعن ووصفه تعالى خامساً إنه مشاء بنميم أى كثير المشى فى
 الإفساد بين الناس وقطع الصلات والقضاء على ما بين النفوس من مودة
 ورحمة وقد صدق الرسول ﷺ إذ يقول : « لا يدخل الجنة غمام » وبين الله
 تعالى صفته السادسة بقوله مناع للخير أى كثير المنع لا يجود إنما هو بخيل
 شحيح والبخل والإيمان لا يجتمعان فى قلب واحد وبين الله صفته السابعة
 بأنه معتد أى ظالم يتجاوز حدود ما أمر الله به معتمداً على ماله وبنيه وبين
 الله تعالى صفته الثامنة بأنه أثيم أى كثير الآثام والذنوب والأوزار ويحتم الله
 هذه الصفات بصفتين مناسبتين لما سبق من الصفات فيصفه فى التاسعة بأنه
 عتل أى قاس القلب غليظ لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً ثم يصفه عاشراً
 بأنه زنيم أى فاحش سىء الخلق ، ما الذى دفعه إلى كل هذا كثرة ماله
 وكثرة أولاده جعلتا قلبه مليئاً بالغرور والكبر حتى قال عن القرآن أنه
 أساطير الأولين وخرافات السابقين فأوعده الله عقاباً من جنس العمل قال :
 ﴿ سنسمه على الخراطوم ﴾ أى سنكويه على أنفه ونحدث له وهماً أى علامة
 على عضو الجمال فى الوجه ولم يقل على أنفه إنما قال على الخراطوم تشبيهاً له

بالفيل فالخرطوم هو أنف الفيل ويزيدنا القرآن الكريم توكيدا لعقوبته وتفضيلا لشخصية الوليد فيقول في سورة المدثر : ﴿ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وحيدا ... ﴾ إلخ .. الآيات .

يقول العلامة ابن كثير : يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعيم الدنيا فكفر بأثم الله وبدلها كفرأ وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى : ﴿ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وحيدا ﴾ أى خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى : ﴿ مَالاً مَمْدُوداً ﴾ أى واسعاً كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضاً يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له ﴿ بنين شهوداً ﴾ قال مجاهد لا يغيبون أى حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم وكانوا فيما ذكره السدى وأبو مالك وعاصم بن عمر ابن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد : كانوا عشرة وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ أى مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك ﴿ ثم يطمع أن أزيد . كلاً إنه كان لآياتنا عنيدا ﴾ أى معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم . قال الله تعالى : ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال : « ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوى به كذلك فيه أبداً » .

وقد رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا . قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج

وفيه غرابة ونكارة وقال ابن أى حاتم حدثنا أبو زرعة وعلى ابن عبد الرحمن المعروف بعلان المقرئ قال حدثنا منجاب أخيرنا شريك عن عمار الدغنى عن عطية العوفى عن أى سعيد عن النبى ﷺ ﴿سأرهقه صعودا﴾ قال : « هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » .

ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا : صخرة فى جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدى صعودا : صخرة ملساء فى جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد ﴿سأرهقه صعودا﴾ أى مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لا راحة فيه واختاره ابن جرير وقوله تعالى : ﴿إنه فكر وقدر﴾ أى إنما أرهقناه صعودا أى قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول فى القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يخلق من المقال ﴿وقدر﴾ أى تروى ﴿فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر﴾ وعاد عليه ﴿ثم نظر﴾ أى أعاد النظرة والتردى ﴿ثم عبس﴾ أى قبض بين عينيه وقطب ﴿وبسر﴾ أى كلح وكره وقوله : ﴿ثم أدبر واستكبر﴾ أى صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن ﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولذا قال ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ أى ليس بكلام الله وهذا المذكور فى هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومى أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره فى هذا ما رواه العوفى عن ابن عباس قال دخل الوليد ابن المغيرة على أبى بكر بن أبى قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال عجبا لما يقول ابن أبى كبشة فوالله ما هو بشعر من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك نفر من قريش اثتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله

أَكْفِيكُمْ شَأْنَهُ فَاَنْطَلِقْ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ فَقَالَ لِلْوَلِيدِ أَلَمْ تَرِ إِلَى قَوْمِكَ قَدْ
جَمَعُوا لَكَ الصَّدَقَةَ ؟ فَقَالَ أَلَسْتُ أَكْثَرَهُمْ مَالًا وَوَلَدًا فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ
يَتَحَدَّثُونَ إِنَّكَ إِذَا تَدَخَّلْتَ عَلَى ابْنِ أُمِّ قِحَافَةَ لَتَصِيبَ مِنْ طَعَامِهِ . فَقَالَ الْوَلِيدُ
أَقَدْ تَحَدَّثَ بَنُ عَشِيرَتِي !



الدرس السابع

في الصبر على حكم الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى : ﴿ ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة ﴾ [البخارى] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : ﴿ مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل الكافر كمثل شجرة الأرز لا تهتر حتى تستحصد ﴾ [رواه الشيخان والترمذى] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » .

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنهما قال : قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاءاً قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت الوجع أشد منه على رسول الله ﷺ .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي يوم القيامة » .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » .

عن سعد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له » .

عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض » [روى الترمذى هذه السبعة] .

عن حذيفة رضى الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ فقال : « أحصوا لى كم يلفظ الإسلام فقلنا يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين السماء إلى السبعمائة قال إنكم لا تدرون لعلمكم أن تبتلوا . قال : فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سراً » .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها الله في الدنيا حتى إذ أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها » [رواهما مسلم] .

الدرس الثامن

في القضاء والقدر

عن عبد الله رضي الله عنه قال : الشقى من شقى في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فسمعه رجل فأتى حذيفة فأخبره بذلك وقال كيف يشقى رجل بغير عمل فقال له حذيفة أتعجب من ذلك فأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص » [رواه مسلم] .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكاً فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقاً قال الملك أى رب ذكر أو أنثى شقى أو سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه » [رواه الشيخان] .

عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ جالساً ذات يوم وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال : « ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله فلم تعمل أفلا نتكل قال اعملوا

فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرْهُ لِلْغَيْبِ وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَفْتَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرْهُ لِلْعَيْبِ ﴾ [رواه الأربعة] .

قيل يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فقيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقالم وجرت به المقادير أم فيما تستقبل قال لا بل فيما جفت به الأقالم وجرت به المقادير قال فقيم العمل قال كل عامل ميسر لعمله . [رواه مسلم والترمذي] . ولفظه قال عمر يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع أو فيما قد فرغ منه فقال فيما قد فرغ منه يا ابن الخطاب كل ميسر . أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء .

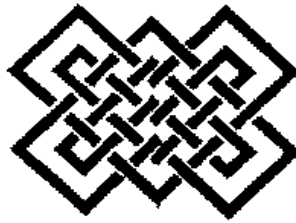
عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم ومضى أو فيما يستقبلون به فقال لا بل قضى عليهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل . ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [رواه مسلم والترمذي] .

عن عبد الواحد بن سليم رضي الله عنهما قال قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر قال يا بني أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرا الزخرف فقرأت ﴿ حم . والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدنيا لعل حكيم ﴾ . فقال أتدرى ما أم الكتاب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات والأرض فيه إن فرعون من أهل النار وفيه ثبت يدا أي هب قال عطاء فلقيت الوليد بن عباد بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته ما كان وصية أبيك عند الموت قال دعاني أي فقال

لى يا بنى اتق الله واعلم أنك لن تتقى الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله
خيرته وشره فإن مت على غير هذا دخلت النار . إني سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب
القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد » [رواه الترمذى وأبو داود] .

وقال عبد الله بن فيروز الديلمى أتيت أبا بن كعب فقلت له وقع في
نفسى شيء من القدر فحدثنى بشيء لعل الله تعالى أن يذهب من قلبى فقال
لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان غير ظالم لهم ولو رحمهم
لكانت رحمته إياهم خيراً لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل
الله تعالى ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن
ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت
النار ، قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ثم أتيت حذيفة ابن
الإيمان فقال مثل ذلك ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثنى عن النبى ﷺ بمثل
ذلك . [رواه أبو داود] .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن
أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم
على علم الله تعالى » [رواه الترمذى في الإيمان بسند حسن] .



الدرس التاسع

النهي عن الجدل في قدر الله تعالى

من السمات التي يتسم بها الإسلام أنه دين عملي واقعي يحترم العقل ويقيم الموازين للفكر السليم ولا يرضى لأتباعه أن يجادلوا في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ويقرر أن الله تعالى إذا غضب على قوم رزقهم الجدل ومنعهم العمل وهذه إشارة إلى ضلالهم بعد الهدى ، وفي القرآن الكريم موقفان يدلان دلالة صادقة على أن المسلم إذا سأل ينبغي أن يسأل عما يفيد . سألوا الرسول ﷺ عن الأهلة أي منازل القمر فلم تكن الإجابة عما صنعت الأهلة ولا عن معدنها إنما كانت الإجابة عن فوائدها لم يقل لهم إن الأهلة من ذهب أو فضة أو نحاس أو رصاص كل هذا لا طائل تحته إنما علمهم أن يسألوا عما يفيد فأجابهم بما يفيد قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ وسأله ﷺ عن ماذا ينفقون فكانت الإجابة لا عن ماذا إنما كانت لمن ينفقون قال تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ . فكانت الإجابة هنا : ما أنفقتم من خير فلهذه المصارف ولا داعي إلى أن يقول ما أنفقتم من ذهب أو فضة لأن الخير أعم من هذا ونخلص من هذه المواقف إلى أن المؤمن يجب أن يكون رقيباً على لسانه محافظاً على رقبته بصيراً بعيوبه عالماً بشئونه .

ومما نهى عنه الإسلام الجدل في القدر لأن الأمة إذا وقعت في هذه الشباك كان ذلك دليلاً على إفلاسها الفكري وقد ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك أحاديث نوردها فيما يلي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر حتى احمر وجهه حتى كأنما فُقيء في وجنتيه الرمان فقال : « أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم عزمت ألا تنازعوا فيه » .

عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » [رواهما الترمذى] .

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي كان : الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لستى » [رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح] .

ومن ثم فإن الآجال والأرزاق محدودة .

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ قالت أم حبيبة رضي الله عنها اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبى أبى سفيان وبأخى معاوية فقال لها رسول الله ﷺ : « إنك سألت الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيئاً منها قبل حله ولا يؤخر منها شيئاً بعد حله ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيراً لك ، فقال رجل يا رسول الله

القردة والخنازير هي مما مسخ فقال إن الله عز وجل لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك « [رواه مسلم] .

وقال خالد الحذاء رضى الله عنه قلت للحسن يا أبا سعيد أخبرني عن آدم عليه السلام أليسما خلق أم للأرض ، قال لا بل للأرض قلت أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة قال لم يكن له منه بد قلت أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم ﴾ قال إن الشياطين لا يفتنون بضلاتهم إلا من أوجب الله عليه الجحيم وسأله عن قوله تعالى : ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال خلق هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه . [رواهما أبو داود] نعوذ بالله من سوء الخاتمة :

عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقلنا الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال : « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء » [رواه الترمذى ومسلم] ولفظه « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » . ثم قال أبو هريرة واقرعوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ .

عن سهل رضى الله عنه أن رجلاً من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ له فقال : « من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا » فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت

فجعل ذبابة سيفه بين يديه حتى خرج من بين كتفيه فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعاً فقال أشهد أنك رسول الله فقال وما ذاك ؟ قال قلت على فلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليُنظر إليه وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه ، فقال النبي ﷺ عند ذلك : « إن العبد لعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » [رواه البخارى] .

عن أنس عن النبي ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله فقليل : كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت » [رواه الترمذى بسند صحيح] .



وجوب المبادرة بالعمل الصالح

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض الدنيا » [رواه مسلم والترمذى] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « بادروا بالأعمال سبعاً » هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » [رواه الترمذى والحاكم] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « بادروا بالأعمال ستاً ، طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة » [رواه مسلم وأحمد] .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » [رواه البخارى والترمذى] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « حجب النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره » [رواه الشيخان والترمذى] . ومعنى الشهوات أى ما تشتهيها النفوس وتستلذها من المحرمات كالزنا وشرب الخمر والملاهى فهذه

كاللحجاب حول النار فمن ارتكبها فقد تسبب في دخول النار والمكارة ما تكرهه النفوس من التكاليف الشرعية ومكارم الأخلاق : كالصبر وكظم الغيظ والعفو عن المسيء والإحسان إليه فهذه كاللحجاب حول الجنة فمن قام بها فقد سبب لنفسه الجنة ولفظ مسلم والترمذي « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

وعن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » [رواه البخارى والإمام أحمد] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين وألستهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل : ﴿ أئى يغترون أم علىّ يفترون فى حلفت لأبعثن على أولئك منهم فنة تدع الحليم منهم حيرانا ﴾ .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « ما من أحد يموت إلا ندم قالوا وما ندامته يارسول الله قال : إن كان محسناً ندم ألا يكون ازداد وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون نزع » .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « من خاف أوج ومن أوج بلغ المنزل إلا أن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة » .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم » .

وعن هانئ قال : كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقليل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا فقال إن النبي ﷺ قال : « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه

وإن لم ينح منه فما بعده أشد منه ما رأيت منظراً قط إلا القبر أقطع منه »
[رواه الترمذى] .

عن أنى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إني أرى ما لا ترون
وأسمع ما لا تسمعون أطت المساء وحق لها أن تنط ما فيها موضع أربع
أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى
الصعودات تجأرون إلى الله ، لو ددت أنى كنت شجرة تعضد » أى كنت
أود أنى كنت خلقت شجرة فتقطع وتذهب وتصير فى خبر كان ، فهذه من
النبى ﷺ كلمة كبيرة تدل على أن ما يراه من المغيبات عنا عظيم يتمنى
الموت والفناء من رؤيته » .



التوكل على الله

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألف بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » [رواه الشيخان والترمذى] .

عن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خفافاً وتروح بطاناً » [رواه الترمذى وأحمد والحاكم] .

عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل قال أعقلها وتوكل . [رواه الترمذى] .

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل أو آجل عاجل » .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان أخوان على عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتى النبي ﷺ والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه للنبي ﷺ فقال : « لعلك ترزق به » .

وكتب معاوية رضى الله عنه إلى عائشة رضى الله عنها أن أكتبى لى كتاباً توصينى فيه ولا تكثرى على فكتبت إليه : سلام عليك أما بعد فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله

مؤونة الناس ومن القس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس»
والسلام عليك . [روى هذه الثلاثة الترمذى] .

في الرقائق :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيزنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » [رواه البخارى والإمام أحمد] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها . قال حماد رضى الله عنه فذكر لنا من طيب ريحها والمسك ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمريه فينطلق به إلى ربه عز وجل ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل قال : وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل قال ورد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنفه هكذا » [رواه مسلم] .

عن البراء رضى الله عنه قال خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأننا على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال استعينوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال : « إن المؤمن إذا وضع

في قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع خفق نعالهم يأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول : هو رسول الله ﷺ فيقولان وما يدريك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فذلك قول الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ فينادى منادى من السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة . قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفتح له فيه مد بصره . وأن الكافر أو المنافق إذا وضع في قبره وعادت روحه في جسده يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري . فيقولان ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري قال فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار قال : فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلأعه ثم يقبض له أعمى أبكم معه مرزبه من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح . [رواه أبو داود والنسائي] .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ويقال له نعم فيقول إرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان نعم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا

أدرى فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التسمى عليه
فتلتصم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من
مضجعه ذلك .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من حافظين رفعا إلى
الله ما حفظا من ليل أو نهار فيجد الله في أول الصحيفة وفي آخر
الصحيفة خيرا إلا قال الله تعالى أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين
طرفي الصحيفة » [رواهما الترمذى في الجنائز] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه
وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره
بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لك شئ شرة
ولكل شرة فترة فإن كان صاحبها سدد وقارب فارجوه وإن أشير إليه
بالأصابع فلا تعدوه » .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتي مملأ
صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك »
[روى هذه الثلاثة الترمذى] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « الطاعم الشاكر الصائم الصابر » [رواه
الترمذى وأحمد والحاكم] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال :
« يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو
اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كبه الله لك . ولو

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك
رفعت الأقلام وجفت الصحف » [رواه الترمذى] .

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « دع ما يريك
إلى ما لا يريك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب رية » [رواه الترمذى
وأحمد وابن حبان] .

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على
الله الأماني » [رواه الترمذى وأحمد والحاكم] .

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يحبهم الله وثلاثة
يغضهم الله فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوماً فسأهم بالله ولم يسألهم
لقراءة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم
بعطيته إلا الله تعالى والذي أعطاه وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم
أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رؤوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي
ورجل كان في سرية فلقى العدو فهزموا فأقبل بصدرة حتى يقتل أو يفتح
له . والثلاثة الذين يغضهم الله : الشيخ الزاني والفقير الختال والفني
الظلم » [رواه الترمذى وابن حبان والحاكم] .

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى
ناساً كأنهم يتكشرون فقال : « أما إنكم لو أكثرتم ذكرها زم اللذات
لشغلكم عما أرى فأكثرُوا ذكرها زم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر
يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب
وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن . قال له القبر : مرحباً وأهلاً أما
إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلىّ فإذا وليتك اليوم وصرت إلى
فسترى صنيعى بك . قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر فقال له القبر لا مرحبا ولا أهلا .. أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلى فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك قال فيلطم عليه حتى تلتقى عليه وتختلف أضلاعه . قال رسول الله ﷺ عليه وسلم بأصابه فأدخل بعضها في جوف بعض قال ويقضى الله له سبعين تينا ثعباناً لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئاً ما بقيت الدنيا فينهبه ويخدشه حتى يقضى به إلى الحساب قال : وقال رسول الله ﷺ : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . [رواه الترمذى] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « من أكل طيباً وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة فقال رجل يا رسول الله إن هذا اليوم في الناس لكثير قال وسيكون في قرون من بعدى » [رواه الترمذى والحاكم] .

واعلم يا أخى أن فضل الله هو السبب الأول في دخول الجنة فالمؤمنون يدخلون بفضل الله تعالى ويقتسمون درجاتها بأعمالهم وهذا هو الجمع بين قوله تعالى : ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ . وقوله جل شأنه : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعلمون ﴾ وبين قول النبي ﷺ ﴿ قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله قالوا يا رسول الله ولا أنت قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ﴾ وفي رواية « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا ينجيه من النار ولا أنا إلا برحمة من الله » .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « سدّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » . [رواه الشيخان والنسائي] .

فضل الصدقة

قال الله جل شأنه : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ۝ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة من عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ .

بينما يرغب القرآن في الصدقات في هذا الموضع يحذر تحذيراً شديداً في موضع آخر من كثر المال وهو المال الذي لم تخرج زكاته فيقول جل شأنه : ﴿ والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم ۝ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الخير : « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله » .

ازرع جيلاً ولو في غير موضعه فلن يضيع جميل أينما زرع
إن الجميل وإن طال الزمان به فليس يحصده إلا الذي زرع

واعلم يا ابن آدم أنك يوم تموت تصاب بمصيتين : الأولى أنك تترك مالك كله والثانية أنك تسأل عن مالك كله . وقد قيل للرجل الصالح محمد بن كعب القرظي وكان غنياً قيل له وهو على فراش الموت ماذا تركت لأولادك من المال قال ادخرت مالى لنفسى عند ربي وادخرت ربي لأولادى .

نعم : ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ۝ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ﴾ .

وما أجل هذا الموقف المهيب : (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) .

هذا خطاب وجهه العبد الصالح إلى كليم الله ونبيه موسى وتأمل معي :
نبي من أولى العزم وعبد صالح علمه الله من لدنه علماً يتوجهان لرفع جدار يريد أن ينقض ليحتفظ بكنز تحته وسر كل هذا صلاح الآباء فإنه ينفع الأبناء بل وتقوى الأجداد تنفع الأحفاد .

وتعال معي لنطوف في رياض السنة ننشق عبيرها الذي يحدثنا أبو ذر رضى الله عنه فيقول : « خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال من هذا قلت أبو ذر جعلني الله فداءك قال تعاله فمشيت معه ساعة فقال : إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفخ في يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً فمشيت معه ساعة فقال اجلس ههنا فاجلسني في قاع حوله حجارة فقال اجلس ههنا حتى أرجع إليك فانطلق في الحرة حتى لا أراه فلبث عني فأطال اللبث ثم سمعته وهو مقبل يقول : وإن زنى فلما جاء لم أصبر فقلت يا نبي الله جعلني الله فداءك من تكلم في جانب الحرة ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً قال ذاك جبريل عرض لي في جانب الحرة فقال بشر أمتك أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة فقلت يا جبريل وإن سرق وإن زنى قال نعم وإن شرب الخمر » . وعنه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد فقال : يا أبا ذر : « قلت لبيك يا رسول الله قال ما أحب أن أحداً ذاك عندي ذهب أمس ثلاثة عندي منه دينار إلا ديناراً

أرصدته لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا حثا بين يديه وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله ثم مشينا . قال يا أبا ذر مكانك حتى آتيك فانطلق حتى توارى عني . قال فسمعت لغطا وصوتا فقلت لعل رسول الله ﷺ عرض له فهممت أن أتبعه ثم ذكرت قوله لا تبرح مكانك حتى آتيك فلما ذكرت له الذي سمعت فقال ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة .. وقلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق . [رواهما الشيخان] .

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السُّلَامِي فإنه يمش يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار » [رواه مسلم] .

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطياها لو جئنا بها بالأمس قبلتها منك فأما الآن فلا حاجة لي بها فلا يجد من يقبلها » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً » [رواهما الشيخان] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول في هذا قطعت رحى ويجىء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » [رواه مسلم] .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية . فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية . قال اللهم لك الحمد على زانية . لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غنى فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غنى . قال اللهم لك الحمد على غنى . لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق على سارق .. فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غنى وعلى سارق . فأنى فقيل له أما صدقتك فقد قبلت . أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق يستعف بها عن سرقة . »

وعنه عن النبي ﷺ قال : « مثل البخل والمتصدق مثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما . إذا هم المتصدق بصدقة اتسعت عليه حتى تعفى أثره . وإذا هم البخل بصدقة تقلصت عليه وانضمت يده إلى تراقيه وانضمت كل حلقة إلى صاحبها . قال فسمعت رسول الله ﷺ يقول : فيجهد أن يوسعها فلا يستطيع » [رواه الشيخان] .

عن عمير مولى أبى اللحم رضى الله عنهما قال : أمرنى مولاي أن أقدد لحماً فجاءنى مسكين فأطعمته منه فعلم بذلك مولاي فضربنى فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال : لم ضربتك فقال يعطى طعامى بغير إذن . فقال : الأجر بينكما . وعن أسماء رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « انضحى أو انضحى أو انضحى ولا تحصى فيحصى الله عليك ولا توعى فيوعى الله عليك » . وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى إبله فجاءه ابنه عمر وكان راكباً فنزل . فقال لأبيه نزلت فى إبلك

وغنمك وتركك الناس يتنازعون الملك بينهم فضرب سعد في صدره فقال :
اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أعز الناس بحب العبد التقى الغنى
الخفى » [روى هذه الثلاثة مسلم] .



فصل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

هذا أمر خطير تقوم عليه حياة الأمم . فما من أمة يسودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كان السعد رائدها والنصر حليفها وألبسها الله لباس العز والشرف وما من أمة تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كان الذل رائدها والخذلان حليفها وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

ولقد تضافرت آيات الكتاب العزيز فى مواضع شتى على أهمية هذه القضية ومن يقرأ وصية لقمان لابنه يلمح فى ذلك المدى البعيد لأهمية هذا الركن الركين : ﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

ومن يقرأ التوجيهات الصارمة إلى الأمة الإسلامية يجد هذا الحصن الحصين شامخ البنيان وطيد الأركان ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ . ثم ماذا ؟

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ .

ومن يقرأ سورة التوبة يجد أركان المجتمع السليم تقوم على هذه الدعائم ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ . وهل خيرية هذه الأمة جاءت على سبيل المجاملة ؟ كلا وألف لا . إن لخيريتها حيثيات لو زالت إحداها انتكست وارتكست وتمرغت في غياهب الظلمات . ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ . ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور﴾ . فإذا تعطلت تلك الأركان عاشت الأمة على أرض النفاق وأظلم جوها واقفهر واقتلعتها عواصف الشر . قال سبحانه : ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ .

وما قبل الله شراء أنفس المؤمنين وأموالهم وأعطاهم الجنة إلا لما اتصفوا بهذه الصفات ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ .

وقد جاءت السنة الشريفة شارحة وموضحة للأمر بالمعروف مبنية درجات الأمرين والناهين : قال الله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ عن طارق بن

شهاب رضى الله عنه قال أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة يوم العيد مروان . فقام إليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك . فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يأمرهم فممن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . [رواه مسلم في الإيمان] .

وقيل لأسامة بن زيد رضى الله عنهما : ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال أترون إني لا أكلمه إلا أسمعكم . والله لقد كلمته فيما بينى وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه ولا أقول لأحد يكون على أميراً إنه خير الناس بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية » [رواه الثلاثة] .

ولأصحاب السنن « أفضل الجهاد كلمة عدل عن سلطان جائر أو أمير جائر » عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير مواضعها : ﴿ يا أيها الذين

آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴿١﴾ وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » [رواه أصحاب السنن] .

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقيه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكان يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » . ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ليلعنكم كما لعنهم » [رواه أبو داود والترمذى] .

عن جرير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرّون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب من قبل أن يموتوا » .

وعن العرس الكندى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا علمت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » [رواه أبو داود] .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا خفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة » . [رواه الطبرانى] .

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » [رواه الترمذى والطبرانى] .

وعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : بينا نحن حول النبي ﷺ إذ ذكرت الفتنة فقال : « إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقمتم إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك يا رسول الله جعلنى الله فداك . قال : الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة » [رواه أبو داود والنسائى] .

ومعنى : أملك عليك لسانك : أى دع الكلام فى أحوال الناس لئلا يؤذونك ومعنى عليك بأمر خاصة نفسك : أى اشتغل بما يخصك لدينك ودنياك .



خاتمة

وبعد فقد فرغنا من املاء هذا البحث بعدما بينا فيه جانب الصراع بين النفس والمال ثم عقبنا على ذلك بقدر كبير من الهدى النبوى الشريف سائلين المولى جل فى علاه أن يواعد بيننا وبين فتنة الدنيا وفتنة المال .

فاللهم نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فائنين يا نعم المولى ويا نعم النصير .. غفرانك ربنا وإليك المصير وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين ...

والله ولى التوفيق ،،،،

المؤلف
عبد الحميد كشك

من منشوراتنا

الذِّكْرُ وَالذُّعَاءُ

منهج لمسلم في اليوم واللييلة وعرضه عليه السلام الدعوة على إقبال

أشخ عبد الحميد كشك

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٢٩١١٣٩٧

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإسلام فيه الأمن والأمان	٥
الأمن في ظل الإسلام	٧
مفهوم الأمن عند الناس	٩
مفهوم الأمن الإسلامى	١١
كيف يحقق ذكر الله الأمن	٢٠
المنهج الإسلامى لتحقيق الأمن	٣٦
الأمن للعقيدة	٣٧
الأمن للنفس	٣٧
الأمن للعقل	٣٨
الأمن للعرض	٣٨
الأمن للمال	٣٨
تحقيق الأمن للعقيدة	٣٩
التشدد في توحيد العقيدة	٤٠
أهمية التوحيد في المنهج الإسلامى	٤٢
الإيمان بالغيب كأساس لدعم العقيدة	٤٧
تصحيح عقيدة أهل الكتاب	٥٠
تحريم الردة	٥٢
تحقيق الأمن للنفس	٥٤
علاج الخوف بكل أنواعه	٥٥
الخوف من هوات الرزق لا معنى له	٥٩

٦٤ علاج اليأس
٦٨ علاج مساوئ الأخلاق والدعوة إلى مكارمها
٦٩ الوفاء بالعهود
٧٠ رعاية الحقوق
٧١ محاربة النفاق
٧٣ ضبط النفس وسماحة القلب
٧٤ تجنبيد النفس في وجه ذاتها وفي وجه عواطفها
٧٥ المحاولة الدائمة لتوثيق علاقات المودة والقرى
٧٦ تحقيق الأمن للعقل
٧٧ حماية العقل بالوحي الإلهي
٧٨ تحريم المسكرات التي تذهب بالعقل
٧٩ دعوة العقل إلى جولة في الآفاق
٨١ مخاطبة العقل بما هو أهل له
٨٤ تحقيق الأمن للعرض
٩٠ تحقيق الأمن للمال
٩١ تشديد عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية والاعتداء على أمن الجماعة
٩٢ تحريم الاكتمار
٩٣ تحريم الربا
٩٤ تحريم الاحتكار
٩٥ الاهتمام بتوثيق الدين
٩٦ الحفاظ على مال الضعيف
٩٧ تحريم الغش والرشوة
١٠٢ الإنسان بين النفس والمال « الغنى في القناعة »
١٠٣ الدرس
١٠٧ الدرس الثاني

١١٠	الدرس الثالث
١١٥	الدرس الرابع
١٢٦	موقف عجيب
١٢٨	طاغية السلطان
١٣٠	تعقيب
١٣٥	الدروس المستفادة من أحاديث رسول الله ﷺ
١٤٣	الدرس الخامس
١٥٠	الدرس السادس « عن المال والنفس »
١٥٥	الدرس السابع « في الصبر على حكم الله تعالى »
١٥٨	الدرس الثامن « في القضاء والقدر »
١٦٠	الدرس التاسع « النهي عن الجدل في قدر الله تعالى »
١٦٤	وجوب المبادرة في العمل الصالح
١٦٧	التوكل على الله
١٧٣	فضل الصدقة
١٧٨	فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٨٣	خاتمة

من منشوراتنا

في ظلال الإيمان

الشيخ عبد الحميد كشك

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية، عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

من منشوراتنا

من شمائل النبي ﷺ وسيرته العطرة

هَذَا نَبِيكَ يَا وَلَدِي

عبد المنعم قنديل

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

من منشوراتنا

الاصابة بالعين وعلاجها

عكاشة عبد المنان لطبيبي

مكتبة التراث الاسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

من منشوراتنا

سَبْعَةُ فِي ظِلِّهِ

عكاشة عبد المنان لطيفي

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

من منشوراتنا

تفسير الصحابة

مميزاته . خصائصه . مصادره . قيمته العلمية

دكتور محمد عبد الرحيم

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

رقم الإيداع : ٣٥٢٢ / ١٩٩١

طبع بدار نوبل للطباعة

صدر حديثاً :

عمدة التفسير

عن
الحافظ ابن كثير

اختصاراً وتحقيقاً أحمد محمد شاكر
أول تفسير للقرآن بالقرآن والسنة
النبوية الصحيحة وأقوال السلف الصالح

المسند

كما تقدم :

للإمام أحمد بن محمد بن حنبل

شرحه وضع بهارسه أحمد محمد شاكر

أكبر موسوعة للأحاديث النبوية أربعين ألف حديث نبوي صحيح .
مع مجموعة مختارة من أهم الموضوعات والعناوين والكتاب .
مستعدون لتلبية طلبات الشحن لكافة أنحاء العالم .



مكتبة النشر الإسلامي

ت : ٣٩١١٣٩٧ - ٣٩٢٥٦٧٧ - فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

Bibliothèque Alexandria



0384202

www.kishk.fr

To: www.al-mostafa.com